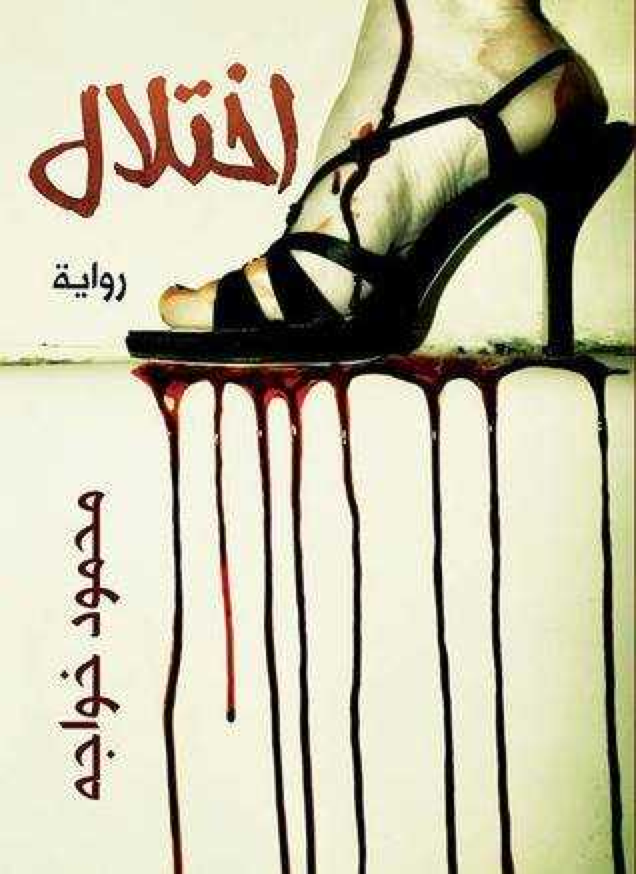
اختلال
رواية
محمود خواجه

عصير الكتب

# اِخْـتِلَال

الكتاب: اختلال

المؤلف: محمود خواجة

الغلاف: محمد محسن

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 978-977-6502-22-2

الترقيم الدولي:3462/2015

مدير النشر: عمر عودة: 01111529029

مدير التوزيع: 01153339390

الإشراف العام: محمد المصري

جميع الحقوق محفوظة

لدار الرسم بالكلمات وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر بشكل إلكتروني أو فوتوغرافي أو غيره دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

---

العنوان: 50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

ت: 01111529029 /01221064663 /0225622743

https//www.facebook.com/dar.elrsm.blklema

# اِخْـتِــــلَال

رواية

محمود خواجة

دار الرسم بالكلمات

عصير الكتب

# إهداء خاص

إلى أبي وأمي وإخوتي (محمد وأحمد ومصطفى)

لولاكم ما سلكت هذا الطريق..

# إهداء

إلى كُل من عاش بنفسه ولم يعِش بغيره..

عصير الكتب

# الجُزء الأول

## "صياد الفراشات"

**(ما بعد النهاية)**

**- إنتي شايفانى إزاي يا دُكتورة؟، شايفاني شخص كويس ولا وحش؟**

**- إنت شايف نفسك إيه؟**

**- أنا مش عارف..**

**- طيب إحكي يا وحيد.. إحكي..**

## (0)

كُنت في العاشرة من عمري، لم أكن أفهم شيئًا في ذلك الوقت، لم أفهم لِمَ يُعامل أبي أمي بتلك العصبية والخشونة، ويضربني كُل يوم ضربًا قاسيًا وكأني سرقت شيئًا أو فعلت شيئًا مُحرَّمًا، أنا لا أفهم شيئًا، فعلًا لا أفهم شيئًا.. كُنت أجلس على الأريكة، وكُنت أرتدى ملابسي كي أذهب إلى المدرسة، استيقظت من غياهب النوم مضطربًا لأن أمي أيقظتني مُتأخرًا، فقالت لي أن أكمل نومي، ولكن بعد هذا أتى أبي وصفعني على وجهي، فجلست أبكي، فسألته له لماذا قال لي قُم كي تذهب إلى مدرستك، وبدأ في الصياح بوجه أمي:" كيف تتركينه ينام ولا يذهب لمدرسته؟.. وبالفعل ارتديت ملابسي وكانت أمي تبكي، بكيت ولكنها كانت تمسح دموعها سريعًا كي لا أراها، ولكن عينها خذلتها.. ورأيت تلك الدموع المُخبأة التي طالما اختبأت سأراها، بالفعل ارتديت وسألتُها على الساعة فقالت أن الساعة الآن "السابعة والخمس دقائق" فأسرعت أكثر وارتديت حذائي، وأخذت حقيبتي على ظهري.. وانطلقت.. انطلقت تاركًا أمي مع أبي المتوحش الغبي، أسرعت الخُطى إلى المدرسة وأنا لا أعرف كم

الساعة.. ومن ثم وصلت، ووجدت البوابة مُغلقة، وتكلمت مع (عم فتيحة) بواب المدرسة ليفتح لي البوابة فقال لي:

" إنت اتأخرت، معلش يا وحيد.. إنت مش هينفع تُخش.. " وبكيت له، ولكنه ربت على كتفي وكان يبتسم، ابتسم إبتسامة جعلتني أرتاح رغم دموعي، وضع يديه في جيبه وأعطاني حلوى مُغلقة وتكلم: " خُد دي، وأديك أخدت درس عشان متتأخرش تاني". لم أبكِ لُحبي في المدرسة بل للعكس، أنا خائف أن أرجع إلى بيتي لأن أبي سيضربني ظنًا بأني هربت من المدرسة، ولكني سأرجع، وسأترك القدر يفعل ما يشاء.. بالفعل رجعت، رجعت وأنا كُلّي أمل أن يكون أبي قد ذهب إلى عمله، فتحت الباب ببطءٍ بالمفتاح الذي معي.. ودخلت ببطء شديد، واتجهت ناحية غرفة أمي.. ورأيت أبي جاثمًا فوقها، وهو يضع سكينًا على رقبتها وهي نائمة، ويذبحها...

الملعون.. لقد ذبح أمي، كُلما تذكرت ذلك المشهد، كُلما بكيت على عدم تدخُّلي، لقد ذبح أمي، لم أتخيل أبدًا أنه سيذبحها، مهما بلغت درجات القسوة.. لا أظن أنه سينتهي به الأمر بذبحها.. لقد رحلت أمي، رحلت دون وداع.. ودون سلام.. ولكني أقسم لكِ أني سأنتقم، سأنتقم أشد الانتقام لكِ، ولن أتركه يعيش يومًا واحدًا هنيًا في تلك الحياة اليابسة، لقد أخذت عهدًا على نفسي ليوم الحساب؛ سأقتله وسأفعل به كما فعل بك..

اِنتظر، أنا لم أكمل لك ما حدثَ بَعد، تلطخت ملابسه بدماء أمي، فبكيت عندما رأيت هذا المنظر، ولكن بعدها خرجت إلى الناحية الأخرى

كي لا يراني، ورأيت ما فعله بها، لقد حملها بين يديه، ووضعها في (البانيو) وترك المياه تُنظِّف جسدها، لقد كان يبتسم، يبتسم ابتسامة شيطانية لا مثيل لها، لا أعرف كيف سأعيش مع هذا المخبول، هل هو مريض نفسي؟، يُعاني من مرض ما يجعله بهذا الخبل.. لم أكن أعرف شيئًا وقتها، كما قلت لك.. كُنت صغيرًا، وبالفعل، خرج إلى الصالة، وأشعل سيجارة، وبدأت عيناه تذهب في جميع الأماكن، ولكني رأيت مكانًا صغيرًا، دخلت به بسرعة دون نقاش، وهدأت أنفاسي كُلها، كان لدي شعور قوي شعرت بأني سأموت، ولكني تمالكت نفسي قليلًا.. وكُنت أفكر، ما الذي سأفعله بهذا المخبول؟!

طال هذا السؤال بداخل رأسي مُدة طويلة.. طويلة جدًا، كان عمري حينها تقريبًا ثمانية عشر عامًا، بدأت أفكر وأخطط.. هل سأقتله؟ نعم، ولكن كيف؟، سأقتله بنفس طريقة أمي بلا نقاش، لقد أصبح قعيد الكُرسي، وبالتأكيد لن تكون هُناك مُشاجرات وعنف، سيُقتَل بهدوء شديد. في الصباح الباكر انتظرته حين يستيقظ، جهزت السكين وجهزت المياه بالحمام، وتظاهرت بالنوم على الأريكة، وسريعًا أتاني صوته الخبيث، ذهبت إليه بسرعة وجدته ممُدًا على سريره:

- صباح الخير يا حاج..
- صباح الزفت.. تعالى شلني من المحروق ده ودخلني على المحروق التاني..

تظاهرت بالابتسامة وتكلمت:

- حاضر يا حاج، عينيا..

حملته بين يدي ووضعته على كُرسيه، كُلما سألته، أين أمي يا أبي؟ يُجاوبني أنها ذهبت إلى أهلها بالإسكندرية، ولن تعود أبدًا.. تظاهرت بالتصديق، وابتلعت الكذبة عنوة وانتهت الحكاية..

كُنت أجرّ الكُرسي معه إلى الصالة، ولم يكن يتكلم.. الابتسامة لا تعرف لوجهه طريقًا أبدًا، عابس دائمًا، لا يتكلم إلا في أحيانٍ قليلة، وبعدها تعودت على أسلوبه، وظللت أكثر من ثماني سنوات أفكر في طريقة قتله، وضعت السكين خلف بنطالي، ووقف هوَّ في مُنتصف الصالة، فتحت له التلفاز وقُلت له أني سأقوم بعمل إفطار له، ذهبت إلى المطبخ، وسرت رعشة بداخلي، رعشة لم أفهم مغزاها.. أهو الخوف؟، لم أفهمها مطلقًا!.. رفعت يدي التي بها السكين، واقتربت منه جدًا، ووضعت السكين على رقبته، وذبحته..

انفجرت دماؤه تلوث المكان، لقد خرجت تلك الدماء النجسة من هذا الرجل الذي عاش ومات نجسًا، هذا الرجل الذي سيظل عارًا عليَّ إلى أن أموت، ووقع على الأرض، وبدأ يركل كالذبيحة أثناء ذبحها، يركل بشدة، وانتهت حياته، وانتهت دقات قلبه وتوقف عن ضخ الدماء.. إلى الأبد، أما أنا كُنت أبتسم.. أنا الآن فرحٌ كما لم أفرح من قبل، لقد مات مَن قتلَ أمي..

فيما يلي.. لن يكون هُناك الأب الظالم الذي قتل أم البطل، بل سيكون هُناك حبيبة وعبير وسامح وحاتم..
لذلك.. استعدوا.. فالحكاية لم تبدأ بَعد..

* * *

## - 1 -

أستطيع القول الآن أن الحكاية قد بدأت، بدأت من هُنا، في اليوم التالي بعدما قتلت أبي، لم أنَم رُعبًا من منظره وهو مُلقى على الأرض، كان منظره مُرعبًا بحق، بعدها ذهبت إلى المطبخ كي أروي ظمئ، فشربت حتى وصلت إلى ذروة الشبع، وذهبت..

ذهبت إلى مكان الجُثة..

ولم أجدها!

لقد أختفت..

* * *

إنه اليوم العاشر لي في كُلية التجارة، لم تكن الكُلية مُريحة إلى الدرجة التى كُنت أتخيلها، كُنت أتخيل أن أول يوم هذا هو حافل بالفتيات والفتيان الذين يجلسون بجانب بعضهم البعض كما نراها في الأفلام، ولكنه أتى عكس مُخيلتي، بل كان يومًا عابسًا.. تعيسًا.. باهتًا كالأفلام الأبيض وأسود، لم ترتسم الابتسامة على وجهي ولو لوهلة، لقد كُنت

وحيدًا كاسمي، مرَّ اليوم الثاني والثالث والـ.. إلخ.. حتى صرنا في اليوم العاشر، أين الأصدقاء؟، أين الأحباء؟، هل ماتوا؟، هل يعيشون ويتنفسون ويأكلون ويشربون وينامون؟، إذًا أين هُم؟.. كانت الساعة تدق أجراسها على العاشرة، وكُنت أنتظر، أنتظر في المُدرج وحدي، لم يكن هناك سوى شخص ما يجلس بجانبي والباقي مبتعدون وكأن رائحتي قـ.. لحظة!، هل من الممكن يا وقت أن تعيد لي تلك اللحظة مرة أخرى؟، نعم نعم تلك اللحظة التي مرت على عينيَّ التي لم أشعر بها ولكني شعرت بها بعد فوات الأوان؟!، لِمَ لا تستطيع؟!، لقد فات الوقت؟!، إذًا فلتتركني بسلام كي لا أقطِّعك إربًا..

لقد رأيت ملاكًا، ملاكًا ينظر إليَّ دون أن ألمحه!، نظرات هذا الملاك جاءت في وقتها!، نظرت فقط أمامي.. وجدتها!، ولم أجد أحدًا سواها!.. كثيرًا ما يعترضون على أن تُحب من النظرة الأولى.. ولكن أقسم لك، لن تعرف معنى شيئًا إلا إذا وقعت في خطيئته، نعم.. الحب ليس إلا خطيئة، نرتكبها رغمًا عنّا..

- إيه يا مان.. عجباك ولا إيه؟

مَن هذا الأحمق الذي يتكلم الأن؟!، سأقطع لسانك يا أبله، ولكن دعني أنظر إليك، نظرت له.. وجدت..

ذلك الوجه!، أظن أني أعرفه، أعرفه كثيرًا، ولكن لا أتذكر أين رأيته ومتى، ولكن هذا الوجه أعرف جيدًا أني رأيته من قبل:

- مين دي؟

تكلم هذا الرجل وقال:

- قبل أي حاجة، عارفك هتتلخبط اما تكلمني، أنا سامح.. سامح البرنس..

قدم يديه كي يُصافحني فصافحته، وتكلمت:

- معاك وحيد كامل..
- أهلًا بيك ياسطى وحيد.. لأ من غير ما تبصلي كدا، أنا بحب أقول لأي حد ياسطى متقلقش يعني..

ابتسمت له، فأستطرد:

- شكلنا هنبقى صُحاب..

لم أتكلم، بل ابتسمت أكثر وطأطأت رأسي دلالة على صِدق كلامه، فأكمل وقال:

- عاوز تكلمها؟
- نِفسّى..
- روحلها وقولها عاوز كشكول المحاضرات، وظبطت معاها بقى..

لم أكذِّب خبرًا، قُمت من مكاني واتجهت ناحية المُدرج الخاص بها، ولكني توقفت فجأة.. فكرت في شيء: ماذا لو أحرجتني وقالت (لأ)!، ماذا سيكون ((شكلي)) وقتها؟، لم تطل أسئلتي كثيرًا، ذهبت إليها ووقفت أمامها، ولكني لم أتكلم لأنها لم تنظر إليّ، فجأة نظرت.. تلعثمت ولم أستطع التكلم، فبادرت هيّ:

- خير؟

قالتها بابتسامة خفيفة ونظرة ملائكية، نظرة أنستني ما اقترفته من ذنب، فخرجت كلماتي أخيرًا:

- كُنت عاوز من حضرتك كشكول المحاضرات، أنا آسف على الإزعاج..

اكتملت ابتسامتها كالقمر في ليلة التمام:

- مفيش أي مانع.. إتفضل.. بس خلي بالك، يومين ويبقى عندي.. أوكي؟

ناولتني إياه فابتسمت:

- أوكيه، يومين وهيبقى عند حضرتك..
- حضرتك إيه بقى إنت خليت فيها حضرتك، إسمي حبيبة..
- وأنا وحيد.. وحيد كامل..
- تشرفنا يا أستاذ وحيد..

ومن ثم ذهبت، ذهبت وأنا في قمة السعادة، لقد فعلت ما كان بخاطري.. أخيرًا فعلت ما أراده وجداني، لقد كلّمتها، كلمتها أخيرًا!، ذهبت إلى جانب سامح دون كلام فتكلم هو:

- هااا، عملت إيه؟، شايفك مبسوط وفاشخ ضبك يبقى أكيد فيه حاجة..

- ولا حاجة ياسِيدي، كلمتها وأخدت الكشكول، واتعرفنا على بعض ومشيت على طول.. وبس..
- برافوا عليك، خليك برنس زيي بقى وروح إدهولها بُكرة، إسمع الكلام.. بُكرة يعنى بُكرة..

وانخرست تمامًا، فما كان عليّ إلا السمع والطاعة من مولاي البرنس، وجدته "يُؤفئف" فكلمته:

- مالك يابرنس؟
- مفيش ياسطى، عندي لعب كورة يوم الجُمعة.. وعاوز حد ليه في الكورة يبقى معايا.
- عيب يا برنس.. عيب وربنا، إزاي ماتقوليش.. يا ابني أنا جامد فالكورة، إمتى اللعب قلتلي؟

* * *

(عودة لما بعد النهاية)

- الأحداث مملة.. جيب من الآخر..
- الأحداث لسه مبدأتش أصلًا!

* * *

# - 2 -

- إتفضلي.. آدي الكشكول، أتمنى مكنش طوّلت عليكي..

كُنا واقفين في خارج الجامعة، أتينا مُبكرًا كما اتفقتْ معها أمس لكي أعطيها (الكشكول)، لم يكن بيدي إلا النظر إلى عينيها، هي الخلاص من كُل شيء، عندما تنظر إليها حقًا.. تشعر بالخلاص من جميع السيئات التي فعلتها، كانت تنظر إليها مثلما أنظر إليها، لقد أحببتها بصدق، ولكن تُرى هل أحببتْني كما أحبها؟

- شُكرًا يا وحيد.. لو عاوز حاجة تانية إبقى قولي ومتترددش..

أومأت برأسي أن نعم، فأدارت وجهها عني فقلت بسرعة قبل أن ترحل:

- مش هشوفك تاني؟

أعطتني وجهها وتكلمت:

- إحنا مع بعض، هشوفك كُل يوم في الكُلية أكيد..
- أنا مابتكلمش ع الكلية.. إحنا ممكن نبقى صُحاب كويسين أوي على فكرة..

ابتسمت بخجل فأستطردت:

- طيب وليه الخجل؟، صدقيني أنا مش وش صياعة.. أنا أغلب من الغُلب..
- ولو اني مش مصدقة، بس ماشي.. هيحصل إيه يعني لما نبقى صحاب..

اقتربت مني قليلًا وابتسمت، فتكلمت:

- مش هعدى الخط ده إلا لو انتي اللي طلبتي.
- عندك أكونت ع الفيس بوك؟ لو معندكش ممكن أعملك..
- خلاص اعمليلي.. وينفع أخد رقمك!

نظرت إليّ نظرة أرعبتني؛ فاستطردتُ:

- مش هنبقى صحاب؟ لازم أبقى أكلمك!
- إنت بجح أوي على فكرة..
- يا شيخة.. قولي حاجة جديدة..

فابتسمت، ورحلت.. ودعوت الله..

أن تظل معي.. إلى يوم الخلاص..

* * *

الليلة، كان الملل يُحيط بي من كُل مكان، اتصلت بسامح كي يأتي معى لشراء شيء أثريّ أو قديم أعلقه في الغرفة عندي؛ لأني عاشق للآثار، بعد مرور الوقت أتى سامح، كان يقف قبالة عمود نور في الأسفل.. نظرت

وطلبت منه أن ينتظرني، ارتديت حذائي وأغلقت الباب ورائي.. ونزلت إليه، فاحتضنى سريعًا:

- إيه ياسطى، عامل إيه؟.. طيب الحمد لله..

تعجبت قائلًا:

- أنا قُلت حاجة يابني انت؟
- يا عم قلت أريحلك لسانك..

بعد دقيقتين من الضحك المتواصل، تمشينا دون كلام، فكان هو يشعر بالملل وأنا أيضًا مثله، تكلم ليقطع التفكير:

- على فين العزم؟

تكلمت دون النظر إليه:

- هنجيب حاجة آثرية من أقرب محل هنقابله بيبيع حاجات زي دي..

مشينا كثيرًا حتى وصلنا إلى أقرب محل للأشياء الأثرية، دخلناه وسألت البائع عن الأشياء الأثرية القديمة فأجابني: "حضرتك كُل اللي هنا آثار مصنوعة، إتفضل وشوف اللي يناسبك.. " أدركت أن سؤالي غبي، فكتمت السؤال الآخر بداخل حنجرتي، وتجولت بداخل المحل..

مم.. تمثال.. مم.. لأ..

مم.. ولاعة.. مم.. لأ..

مم.. سكين.. مم..لأ..

مم.. خنجر!!.. مم.. نعم بالتأكيد!

فتحت ذاك الخنجر المُهر من غطائه ورأيته، أمسكته وظللت أرمقه، أخيرًا نال شيء إعجابي، فسألت الرجل:

- لو سمحت، بكام الخنجر ده؟
- ده عامل 150 جنيه، بس عشان خاطرك يبقى 135 جنيه..

إشتريته، ورأيت سامح التافه يتجول بداخل المحل دون أن يصدر صوتًا.. يمسك الأشياء كالأطفال ويضعها مرة أخرى مكانها، بعد أن خرجنا من المحل أمسك بالخنجر وقد نال إعجابه هو الأخر، فتكلم قائلًا:

- حلو ده، ألا صحيح.. هو إيه الفرق ما بين السكينة والخنجر، ماهُما الإتنين بيقطعوا نفس ذات الحاجات؟ إشمعنى الإتنين مُختلفين في الإسم؟

لم أكن أعرف الجواب..

فانخرست حتى وصلت إلى بيتى سالمًا غانمًا...

* * *

خلعت حذائي، ووضعت يدي في جيبي، أخرجت المُفتاح وفتحت الباب ببطء، كانت الإضاءة خافتة بعض الشيء.. مَن هذا الرجل الذي يعطيني ظهره؟، دخلت من الباب وأخرجت الخنجر الذي اشتريته قبل قليل من غمده، وصحت قائلًا: "مين؟" وانتظرت دقيقة كاملة دون رد!، تركت الباب مفتوحًا وتقدمت بخطوات شُجاعة، رفعت الخنجر بيديّ، أضأت

الأضواء، أيضًا لم يتحرك! هل جُثة أبي التي اختفت هي من تظهر لي الأن؟ ولكن فجأة.. انقطعت الأضواء!

لقد انقطعت الكهرباء.. انقطعت وتركتني وحدي مع هذا اللعين، يا إلهي!، ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟، تركت كُل شيء إلا الخنجر، واقتربت منه، اقتربت بشدة حتى صرت خلفه تمامًا، رفعت الخنجر أكثر وأكثر، وأنزلته بسرعة تجاهه، أرخيت يدي وأنزلتها ببطءٍ تعلوني علامات الدهشة والصدمة معًا، لقد نظر إليّ بإبتسامة جعلتني أرتعد، ذلك الوجه!

كان وجهه!، وجه أبي..

أضيئت الأضواء مرة أخرى.. لكن لم أجد له أثرًا في الشقة!

* * *

الأصوات.. الكوابيس.. أسوأ كابوس في الحياة أن ترى ضحيتك التي دبحتها بأيديك أمامك!، استيقظت مذعورًا، لم أفكر فيما حدث.. هل كُل ما حدث كان مجرد كابوس غريب؟، هل شراء الخنجر كان واقعًا؟.. لم تطل أسئلتي كثيرًا، خرجت من غُرفتي أبحث عن شيء ما أأكله، وعند البحث.. وجدت الخنجر!

لقد كان على الطاولة خارجًا من غمده، لم أستطع التكلم، علتني الدهشة والصدمة وانخرست تمامًا!، إذًا رؤية والدي اللعين كانت حقيقة، وقتها سمعت صوتًا بداخل المطبخ، أمسكت الخنجر مرة أخرى وفتحته، واقتربت من المطبخ.. فسمعت صوت صفير!

**فتحت باب المطبخ ببطء.. وجدت سامح يُدخن سيجارة ويغسل الأطباق!**

- **إنت ازاي دخلت هنا؟**

**نظر إليّ بثقة وابتسامة:**

- **أهلًا، إزيك أحبيب قلبي، ياسطى أنا جيتلك لقيت الباب مفتوح!**
- **ياض بطل كـ...**

**وابتلعت كلماتي عنوة عندما تذكرت شيئًا ما..**

*** * ***

***تركت الباب مفتوحًا وتقدمت بخطوات شُجاعة..***

*** * ***

**هل جُننت كي أنسى غلق الباب خلفي؟، فكرت قليلًا وتذكرت أنى نسيته بالفعل، لقد جُننت حقًا، نظرت إلى سامح وقُلت له:**

- **أنا شُفت أبويا إمبارح..**

**مط شفتيه في ملل وتكلم:**

- **لقيته ولأ إيه؟**
- **لأ.. مهما حكيتلك مش هتصدقنى..**
- **إحكي وملكش فيه!**

**فحكيت له على كُل شيء بعد أن قام بعمل كوبين من الشاي وظلّ واقفًا مذهولًا:**

- وحيد.. إنت مُتأكد إن دي مش تهيؤات؟
- ليه يا عم شايفني مجنون؟
- مقصدش!، بس إنك تشوف أبوك وبعدها يختفي.. دا شيء عجيب في حد ذاته..

لم أجد جدوى.. حاولت إبعاد الفكرة عن رأسي ولم أستطع، تكلمت معه بصدق:

- سامح.. أبويا مختفاش ولا حاجة..
- أومال راح فين؟

حسمت أمرى وقُلت:

- أنا دبحته..

* * *

# - 3 -

**ذهب سامح.. بعد أن شعرت بأنه صُدم بسبب حكايتي.. لذلك ابتعد.. ابتعد ومن الواضح أنه لن يحتك بي أبدًا، سيخاف على نفسه منِّي!، ولكني لن أقتله بكل تأكيد، لست بمجرمٍ كي أفعلها..**

**نظرت إلى هاتفي بعد أن شعرت باهتزازه، أمسكته ورديت:**

- **"ألو.. مين؟"**
- **"أيوة يا وحيد.. أنا حبيبة"**

**ابتلعت ريقي عنوة وتوترت ملامحي:**

- **"أهلًا!.. إزيك يا حبيبة.. عاملة إيه؟"**
- **"وحيد إنت جاي الكُلية بُكره؟"**
- **"مظنش.. أنا تعبان وعاوز أنام.."**

**شعرت بالإحراج لمقاطعتها لي ولكني ستطردت مُسرعًا:**

- **"ليه خير؟"**
- **"أصلي كُنت عاوزة أقولك على حاجة مهمة أوي"**

- "طيب ما تقوليها هنا وخلاص؟"

انقطع صوتها وبقيت أنفاسها متواجدة، شعرت بترددها فقُلت بابتسامة:

- "بس أنا عارف إنتي عاوزة تقولي إيه!"
- بجد؟، طيب قول!

كان دوري!، دوري في الصمت لمدة لم أعرف وقتها.. ولكني شعرت بطولها!:

- "ما تقول يا ابني!"
- " أنا بحبك.. بحبك أوي!.. كُنت حاسس إن الوقت مش وقته، بس أنا لازم أرضي نفسي حتى لو انتي مش بتحبينى، عارف إنها جت بدري زيادة عن اللزوم، بس انا.. أنا بحبك أوي!

لم ترد!، شعرت بأن الاتصال انقطع، ولكنها ردت أخيرًا!:

- أنا بحبك أكتر من نفسي يا وحيد!

* * *

وذهبت إلى الجامعة، ذهبت بعد أن حادثتني كي أراها فقط، بداخل الجامعة أخذتها وأخذنا نتجول، حتى جلسنا على كُرسيين صغيرين، قالت لي:

- إنت ليه متضايق كده؟

ابتسمت لها:

- لا مفيش.. من خمس سنين تقريبًا مشفتش أمي.. أصلها اختفت..
- إختفت!.. إختفت إزاي؟
- الله أعلم، صحينا في يوم ملقيناهاش في البيت.. يا طفشت يا اتخطفت..

نظرت إليّ بخبث وقالت:

- فيه سبب تالت إنت مخبيه جواك..

توترت ملامحي، وانبهرت لكشفها أوراقي بسرعة البرق:

- لأ إزاى بس.. وانا هكدب عليكي ليه..
- ماشي يا وحيد..

وقامت من مكانها بسرعة فحاولت تهدئتها، ولكن بلا جدوى:

- أنا ماشية، لما تهدأ وتبقى كويس وتقولي السبب التالت نبقى نتكلم..

وبالفعل مشيت، ولكني أوقفتها قبل أن تُكمل سيرها بكلمة واحدة:

- قتلها..

نظرت إليّ:

- قتلها؟، هوَّ مين؟
- أبويا.. دبح أمي..

وضعت يديها على فمها وأغلقت عينيها في دهشة!:

- الكلب.. كان فاكرني مش شايفه!

تنفست الصعداء فسكتُّ فلم أستطع إكمال ما حدث، في حين تكلمت هي:

- وبعدين؟
- كُل شوية كان يقولي إنها راحت عند أهلها في إسكندرية ومش راجعة تاني.. أنا لحد النهارده هموت واعرف هيّ فين بالظبط في اسكندرية وانا هروحلها..
- طيب وانت عملت فيه إيه؟
- قتـ....، إختفى هو كمان.. معرفتلوش أثر..

بالطبع لن أحكي سر حياتي هذا لأحد نهائيًا مهما كلفني الثمن.. استطردت قائلًا:

- حبيبة، إنتي الوحيدة اللي تعرفي الموضوع ده، أرجوكي متقوليش لحد نهائيًا، عشان انا كُنت شاهد في الموضوع ده، أرجوكي بلاش تعملي زيه وتخوني العيش والملح..
- متخافش يا وحيد..

واقتربت مني وربتت على كتفي:

- إنت حبيبي..

* * *

مرَّ يومان، في الساعة الثانية عشر من كُل يوم نتصل ونتكلم كثيرًا!، حين أتى يوم الجمعة.. اليوم الذي سألعب فيه كُرة مع صديقي سامح، مرت الأيام كثيرًا.. ومرت السنون أيضًا!، لم ألعب كُرة منذ ثماني سنوات

تقريبًا!، "وحيااااااد" من هذا الحيوان البري الإغريقي البورارجيكي الذي يُنادى على اسمي!

نعم!، لقد عرفته.. هذا هو الحيوان المُسمى بـ"سامح"، نزلت مُسرعًا له بعد أن تأكدت من غلق الباب، احتضنني وركضنا صوب الملعب، دخلنا من الباب فأستأذنني سامح بأنه سيذهب إلى دورة المياه، دخلت أنا الملعب وتكلمت مع شخص ما:

- سلامه عليكوا.. "وحيد" ياريس.. إسمي وحيد..
- حامد يا كبير..

مدَّ يده كي يُصافحني فتكلمت معه:

- أهلًا وسهلًا..
- بتلعب إيه يالا!

نظرت له نظرة خبيثة فابتسمت باستفزاز وقُلت:

- إنت بتقول لمين يالا؟

شعرت أنه تراجع لعدة لحظات وقال:

- إنتَ، مش عاجبك ولا إيه يالا؟
- طيب وإيه لازمته، ولما اطلّع روحك في إيديا دلوقت!
- ***، تِفشخ مين يا ***!

وهبطت يديّ على وجهه بسرعة رهيبة، كان هو أسفلى وأقوم أنا بضربه بشدة، لكمته بجانب عينيه حتى تورمت، ولكمته في منخاره حتى نزفت

دماء، رأيت سامح يهرول إليّ بعدما وجدني أبرحه ضربًا، فقال بصوت عالٍ: " *يا وحيد كفاااية، الواد هيموت في إيدك.. سيييييييبه*!!" ولم أتركه بل اشتدت لكمتي له أكثر وأكثر، حتى شعرت بأنه استسلم تمامًا وإلى الأبد!، لأ لم يمت بالتأكيد.. ولكن دماءه توحي لك بهذا، تركته غارقًا في دمائه ووقفت:

- إيه يا سوسن مالِك النهاردة بس!

ضحك كُل من حوله رغمًا عنهم، فشعرت بالانتصار المُهيب، إلى أن بكى "حامد".. لم أشعر بالإشفاق عليه ولو لوهلة، أتركه هكذا وجهه مُسجى باللكمات:

- وحياة أمي ما هسيبك..
- إيه هتعملي إيه يا سوسن، هتروحي ع القسم يا بيضة؟

وقف على الأرض بمساعدة أصدقائه، ومسح دماء أنفه بمنديل حتى صار قويًا، وقال:

- يلا بينا ع القسم، وحياة أمي لأربيك..

ذهبنا إلى القسم، سامح ينظر إليَّ بغضب لأني فعلت ما لا ينبغي فعله، دخلنا إلى أمين الشُرطة وطلب "البطاقة" فأخرجتها له:

- وحيد عبدالعزيز كامل الصريطي،مم، إمسكوا الواد ده..

صُعقت من الجملة، فصحت طالبًا لتفسير!

- يعني مش عارف؟، مش عارف إنك كدبت لما السيد الوالد جِه وعمل محضر بغياب الوالدة عن البيت؟ وإنت كدبت وقلت إنك مشوفتهاش.. وطلع إن أبوك دبحها وهي نايمة؟

فجحظت عيناي، وكبر فمي، وشعرت بصاعقة تجتاحنى من فوق لأسفل!

لقد خانتني حبيبتي..

ولكن حياتها لن تدوم طويلًا!

* * *

(عودة لما بعد النهاية)

- دبحتها؟
- مش قلتلك القصة هتحلو!

* * *

وفي اليوم التالي حادثتها عبر الهاتف لكي تحضر بيتي، وأقسمت لها أني لن أفعل شيئًا مُحرَّمًا، وكالطفلة البريئة أجابت "حاضر"، حضرت دون أن يعرف أبواها..

لتقف بين يدي الآن في شقتى!

- إيه رأيك بقى في الشقة؟ حلوة مش كده؟
- أه جميلة.. وحيد أنا كده هتأخر ع البيت.. إنت عاوزني ف إيه بسرعة؟

وأخرجت الخنجر من بنطالي، ورفعته لأعلى وقُلت لها:

- طب والخنجر ده؟
- جميل أوي.. يلا يا وحيد!

توترت، رغم كُل شيء تذكرت حُبي لها!، تذكرت ذكرياتي معها، ولكني قبل أن أفعل شيئًا قُلت لها:

- حكيتلك سر حياتي، تروحي للشرطة وتبلغيهم.. مكنش العشم!

نزلت عليها تلك الجُملة كالصاعقة، فابتعدت عني بسرعة.. وقالت بتلعثم:

- إنت ناوى تعمل إيه، أنا كنت بحميك من نفسك..
- كويس انك عرفتي..

واقتربت منها بشدة، فأطلقَتْ صرخة مكتومة، ووضعت الخنجر على رقبتها بعد أن وضعت يدي على فمها، وذبحتها.. ذبحتها بخنجري اللعين.. تركتها تركل كُل شيء كالبقرة فور ذبحها، تركتها وأنا أنظر إليها بنظرة شيطانية، وجهها البريء الذي كُنت أنظر له في يوم ما، ها قد مات!

لقد ماتت يا وحيد!، ماتت وأنت من قتلها!، قتلت تلك الروح البريئة، فلتذهبي في سلام يا حبيبتي..

ونظرت أمامي، واتصلت بشخص مهم..

مهم جدًا!

* * *

"إيه اللي انت عملته ده؟، إنت مجنوووووون؟؟"

ما كان ردي على هذا الشخص إلا أني رفعت الخنجر بيدي، ووجهته إلى رقبته فابتلع ريقه بخوف وقُلت:

- قتلة واحدة زي اتنين.. إتقالت كتير الجملة دي في أفلام، وعمري ما صدقتها، لكن دلوقت بس صدقتها.. وهقولهالك تاني يا سامح.. قتلة واحدة.. زى اتنين!

فأبعدت الخنجر عن رقبته فتكلم بتلعثم واضح:

- طيب وهنعمل إيه في المُصيبة دي؟
- إنت مش هتعمل حاجة.. أنا مش جايبك هنا عشان تقولي هنعمل.. أنا جايبك هنا عشان نشيل الزفتة دي ونحطها في أي مكان تانـ..

فقاطعني مسرعًا وعيناه واسعتان عن آخرهما:

- هي مش دي حبيبة؟!
- نبيه!.. أيوة هيّ..
- يا نهار إسود.. يا نهار إسود!!! إنت مجنون.. وربنا مجنون!
- يا ابني إهدا! ، إنت مش فاهم حاجة!

فصاح بعصبية شديدة:

- أيوة انا مش فاهم، فهّمني، فهّم أمي البت دي قتلتها ليه؟

فابتسمت، وحكيت له كُل شيء.. كُل شيء!

* * *

فى إحدى الروايات التى قرأتها – والتي لا أذكر أسمها حقًا – عرفت أن هُناك مادة اسمها " البوتاسا الكاوية " تلك التي تُستخدم في صناعة الزجاج والصابون والسماد.. وإذابة الجسد أيضًا! ، عندها تساءلت: أين ذهبت جُثة أمي؟، هل استخدم أبي مادة "البوتاسا الكاوية" كي يُذيب جسدها ويُكمل هذا الفعل الإجرامي؟، أم ماذا؟

لم يكن هُناك أمامي إلا البحث بالتأكيد.. وكما توقعت، لم أجد شيئًا.. كثفت البحث هُنا وهُناك، فلم أجدها أبدًا، إذًا أين ذهبت؟ ، لم يكن وقت هذا السؤال، لقد رحل سامح وتركني وحدي، وفي إحدى الروايات أيضًا قرأت أن عندما أضع مياه فوقها ملح ووضعت الجُثة بداخله، تُحفظ الجُثة وتمنع رائحة التعفن.. حينها قفزت فرحًا، فأوصدت الباب جيدًا، وسحبت الجُثة ودماؤها تُغطي المكان، أنا لا أقوى على حملها، وأدخلتها الحمَّام، وبدأت المياه تسقط من الصنبور، فانتظرت حتى ملأت "البانيو" ووضعت فوقه الملح..

ما الذي أفعله بتلك المصيبة التي حلّت على رأسي؟، نعم.. نعم أنا من جعلتها تقع على رأسي، ولكني لم أكن أُرتب لكل تلك الأحداث الباقية!، ودخلت إلى غرفتي، وياليتني ما فعلت..

لقد رأيته مرة أخرى.. لقد كان هو، ذات الظهر لم يتغير، نفس الوقفة الشامخة المُتكبرة، نفس تلك العصا التي يتكئ عليها..

لقد كان هو.. أبي!

لكن تلك المرة لم يعطِني وجهه، بل ظل على تلك الحالة لأكثر من دقيقتين..

أعطاني وجهه أخيرًا، وبدأ يرمقني بمكرٍ، فكبر خوفي مع نظراته..عيناه كانتا تُراقبان عينيَّ، أغمضت عيني وفتحتها أكثر من مرة، لم يذهب.. لم أتحرك، وكأنه شلَّ حركتي، وضعت يدي في جيبي.. لم يكن هُناك خنجر! فقال بصوت مُتحشرج: "بتدور على دي؟" ورفع الخنجر بيديه..

وابتسم!، رفع خنجري الذي لا أعلم كيف وصل ليديه!..

اقترب منِّي وهو يتكئ على عصاه..

وقبل أن يضع الخنجر على رقبتي..

وجدت الدماء تنفجر من رقبته..

ويقع أرضًا..

وثمة دقيقة واختفى!

اختفى من مكانه..

وبقيت دماؤه فقط!

أما أنا..

فقد شعرت بالدوار!

دوار كاد يقتلني..

فلم يكن عليّ..

إلا أن أسقط..

على الأرض..

بجوار دمائه!

اللعينة..

* * *

استيقظت من غياهب النوم، وجدت نفسي مُمددًا على السرير!، كيف وصلت إلى هُنا؟، آخر ما أتذكره هو أني سقطت على الأرض!، فمن فعلها؟ لم تطل أسئلتي كثيرًا، قُمت من مكاني واتجهت إلى الحمَّام، غسلت وجهي كي يفيق ونظرت إلى المرآة طويلًا، نظرت لها حتى شعرت بشيء ما يتنفس خلفي!، نظرت من المرآة لم أجد أحدًا ورائي تمامًا!، وعندما أدرت وجهي لم يكن هناك أحد أيضًا، وبسرعة البرق وجدته يقف خلفي!

هذا اللعين لن يتركني أبدًا!!!

ولكن في تلك المرة لم يكن يضحك، ولم يكن ينظر إليَّ نظرات ماكرة خبيثة!، بل يظهر من نظرات عينيه أنه يستغيث من شيء ما، فبالرغم من صوته الخفيض المتلعثم الذي يُشبه حشرجة الفراخ عندما تُذبح! قال:

- عمك.. روحله.. الحقيقة!

لم أفهم شيئًا!، لقد كانت تلك الكلمات مثل الألغاز التي يجب عليَّ حلها!، ولكن ثمة شيء ما غريب يحدث!، لماذا لم أشعر بالرعب في تلك المرة! هل لأنَّ عينيه خائفتان ذليلتان!

- إنت مش وحيد..

صُعقت من الجُملة، وارتجفت!، وشعرت برعشة تسري بداخلي، نفس الرعشة التي شعرتها عندما كُنت أذبح ذاك الملعون!، فسألته بصوتٍ خفيض أكثر منه:

- مش وحيد ازاي؟

فجأة، من دون أي مقدمات، اختفى!، قد نعلم أن في الأفلام يختفي المارد عندما يدخل شخص عليه ويقول له "مفيش حد يقدر يسمعني ولا يشوفنى غيرك إنت!" لِمَ لم يحدث هذا معي؟

وتساءلت:

ماذا فعل "عماد" ابن عمي بجُثة أبي؟!!

وماذا عن عمي "سيد" المُصاب بـ"الزهايمر"!

لم أكن أعرف عنه شيئًا.. فخرجت من الحمَّام ورفعت هاتفي..

واتصلت بـ"عماد"، فمن يدري..

رُبما يُخبئ لي تلك الجثة المُلقاة بداخل الحمَّام التي لم أنظر إليها حتى؟!

* * *

إن "عماد" تُربى "شاطر" مثل أبيه، توارث هذا العمل عن أبيه سيد الذي يعشق النسيان!

أحتاج أن أحكي له كُل شيء ويحل كل مشاكلي، وبعد أن يحلها ينسى المشاكل وحلولها وينساني أيضًا!، كم أعشق هذا.. فبدا "عماد" بأنه شخص يستطيع حمل المسؤولية الملقاة على كاهله بأنه سيُربي شخصًا تقريبًا لا يعرفه، تخيل.. والدك لا يعرف أنك ابنه!، لقد وصل به الحال إلى تلك الدرجة الشنعاء.. ولكن لا أنكر أن عماد شخص يعشق المال مثل الماء، ويعشق أن يكون ثريًا لأقصى درجة، "يبيع أبوه عشان

الفلوس" لو كان أبوه يعرفه!، لذلك قررت أن أكفائه كي يُخبئ لي جُثة والدي!، وإلى الآن لم أتصل به وأسأله عن ماذا فعل بتلك الجُثة!

سأتصل به وأعرف منه حينما أنتهي من تناول شطيرتي.. لقد كانت لذيذة بحق!، لم أعطِ أي اهتمام إلى تلك الجُثة المُلقاة في البانيو، فأنا أعرف مصيرها جيدًا..

لقد انتهيت، رفعت سماعة التليفون إلى أذني وكلمت "عماد":

" ألو.. أيوة يا عماد، زي الفل ياريّس، مم، بقولك.. عاوزك في حوار.. أه أه.. تعالى خُدلك نظرة بليل، لأ لأ هتعجبك، حد الله يا عم أقتل إيه، لأ دي جُثة كده العيال صُحابي في طِب عاوزين يرجعوه... انت مال أهلك، إنت اللي ليك عندي فلوس، خمسمية! خمسمية وخمسين آخر كلمة! هستناك بليل.. سلام"

لم تكن حجة " جُثة عيال صُحابي في طب عاوزين يرجعوها" كافية!، لابُد أنه سيعرف أني من قتلتها، سأتخلص منه قبل أن يقوم بإصدار صوت، ولكن ليس الآن، فلنأخذ منه الفائدة ونعطيه عظمة كبيرة يتسلى بها!، والعظمة هي الفلوس لدى هذا كلب الفلوس، قُمت من مكانى على مضض كي أرى الجُثة، دخلت إلى الحمَّام وفتحت الأنوار.. ورأيت البانيو..

ولم تكن الجُثة به، بل كانت جُثة أبى!

* * *

*في اليوم التالي بعدما قتلت أبي، لم أنَم رُعبًا من منظره وهو مُلقى على الأرض، كان منظره مُرعبًا بحق، بعدها ذهبت إلى المطبخ كي أروي ظمأي، فشربت حتى وصلت إلى ذروة الشبع، وذهبت..*

*ذهبت إلى مكان الجُثة..*

*ولم أجدها!*

*لقد اختفت..*

* * *

جحظت عيناي!، واتسع فكي حتى شعرت بأنه وصل إلى صدري، وشعرت بأن جسدي توقف عن الحركة تمامًا، فبدأ قلبي يدق طبوله بشدة!!، لقد كان هو، بشحمه ولحمه.. لم أفهم لِمَ لم أسأل نفسي من قبل أين ذهبت تلك الجُثة؟

وفجأة اقتربت منها، اقتربت ورمقت عينيه تلك..

فوجدته ينظر إليّ.. ويبتسم!

* * *

(عودة لما بعد النهاية)

- إنت مريض؟
- أنا مش مريض، أنا مش قادر أفرّق ما بين اللي حصل واللي ماحصلش..
- طيب كمل..

قالتها بابتسامة أزاحت عن قلبه الكثير!

* * *

## - 4 -

وفي اليوم التالي استيقظت، فركت عينيَّ وتذكرت جُثة أبي الملقاة بالحمَّام، ركضت مُسرعًا صوب الحمَّام، فتحت الأضواء مُسرعًا، واتجهت ناحية البانيو، نظرت بخوفٍ شديدٍ وبحذرٍ أشد، فلم أجد جُثة أبي، بل كانت جُثة حبيبة.. كما كانت!، لقد كان حُلمًا!!، خوفي اشتد أكثر عندما أدرت ذاك السؤال في رأسي: "أين ذهبت جُثة أبي؟"، هل دفنتها ونسيت مكان دفنتها؟، أنا لست بأحمق إلى هذا الحد!، من المؤكد أن هُناك من دخل وعبث بداخل الشقة وأخذها، الغريب أكثر أنه كيف لم أُفكر في هذا السؤال حين اختفت الجُثة؟، الأغرب هو أني أتذكر عندما قال لي والدي الملعون في يومٍ ما "غطيني يا سامح، غطيني" ولم يكن والدي، بل كان عمي المُصاب بالنسيان.. ما الذي يحدث الآن؟ لِم هبطت تلك الأسئلة على رأسي كالرعد في ليلة شتاء باهر؟!، هُل هُناك شخص يتحكم بداخلي؟، هل أنا ممسوس من الجان؟ هذا احتمال ليس ببعيد!، ولكنى لا أحبذه أبدًا.. هُناك سبب أوضح وأخرق من هذا..

لقد شغلت عقلك – يا دُكتور – بتلك الأسئلة، أعتذر لكِ، لقد كنت غبيًا عندما قُلت لكِ كُل تلك الأسئلة دُفعة واحدة..

لو كان حُلمًا، فيجب عليّ الاتصال بـ"عماد" مرة أخرى كي يأتي لأخذِ تلك الجُثة، أخذت هاتفي واتصلت به، طلبت منه أن يأتي ليلًا ويأخذ الجُثة..

كانت الساعة تدق أبوابها على الرابعة عصرًا.. وقتها سمعت أن صوت دق على الباب، ذهبت بسرعة كي أرى مَن هُناك، لقد كان سامح، فتحت له الباب ودخل فتكلم دون أن ينظر لي:

- عملت إيه يا ابني؟
- مستني اللي هيدفن الليلة.. خليك معايا..
- خليك إيه يا عم انت أهبل، أنا جاي أشوفك عملت إيه مع اللي جوا دي وهمشي على طول.. يخربيت أمك يا وحيد..
- يا عم ليه بس، خلاص يا عم مش هقتل تاني.. وسيبك بقى منِّي عشان انا واقع في دايرة كوابيس ملهاش نهاية..
- خير يا أستاذ وحيد؟
- ليك في تفسير الأحلام؟
- لأ بس نـ...

قاطعته بمهارة:

- يبقى تخرس، مش فايقلك خالص..
- أنا ماشي.. إبقى اديني ميزد أول ما الزفتة اللي جوه دي تغور..

ورحل، رحل وتركني وحيدًا مع تلك الجثة التي شعرت بالرعب منها لا إراديًا، ذهبت كي أغلق الباب الذي نسي أن يغلقه سامح، فنظرت مرة أخرى إلى الصالة.. ووجدت مشهدًا عجيبًا، مشهدًا رأيته من قبل.. لقد رأيت نفسي وأنا صغير، وكان والداي يجلسان أمامي، والدي عندما كان رحيمًا طيبًا معي، وأمي الطيبة المسكينة الحنونة تجلس جواره، وظللت أنا قبالته، أنظر إليهم بعدم فهم وأنا أحرِّك قدميَّ، كُنت طفلًا، لم

أفهم شيئًا من تلك النظرات التي كانوا يتكلمون بها!، نظرت أمي إلى أبي فتكلمت بعدما وجهت وجهها إليَّ:

- خُش نام يا وحيد، مش هتروح المدرسة النهارده.

فابتسمت لها وأومأت رأسي ببراءة، ودخلت إلى غرفتي، وظللت أشاهد هذا المشهد الغريب؟، لقد مر هذا المشهد عليَّ من قبل، أنا مُتأكد؟، ولكني لا أتذكر متى بالضبط.. تكلمت أمي:

- هنعمل إيه؟

أرخى أبي جسده على الأريكة بارتياح، ونظر لأمي بابتسامة مُريبة:

- هعلمه الخوف..

ونادى عليَّ مُسرعًا كي يكتمل السيناريو بداخلي، سيلقننى ضربًا وسيصيح بأمي كي أذهب إلى المدرسة، وفي هذا اليوم، سيذبحها عندما أرجع من المدرسة.. كان يحدث كُل هذا أمامي، كانت تتكرر المشاهد كُلها، صوت ما يصيح بداخلي "*أنت لست وحيدًا.. أنت لست وحيدًا*" الدوار ينتابني بشدة، ما الذي يحدث لي؟، الدواااااار.. الصوت يعلو "*أنت لست وحيد.. أنت لست وحيد..* "، الشعور بالغثيان، الأرض ترقص والسقف يلتف..

ولم أشعر بشيء إلا عندما سقطت الستارة السوداء التي حجبت عني رؤية كُل شيء..

* * *

استيقظت على صوت دق الباب، وجدتني مُلقى على الأرض،وقفت بمساعدة الأريكة التي اتكأت عليها، اتجهت ناحية الباب ونظرت من العين السحرية، فوجدته "عماد" فتحت له الباب، وجدته كما تركته.. نفس ذلك الشعر الأشقر القصير، ونفس تلك العين العسلية، ونفس طوله الفارع الذي لم يتغير أبدًا، ونفس تلك الأنف الصغيرة التي لم تكبر، ولحيته الخفيفة التي تُميزه..

- إزيك يا ابن والدي.. عامل إيه؟
- الجُثة في الحمّام.. خلصني منها وبسرعة..

ذهب على مضض، ودخل إلى الحمام فنظر إلى الجُثة، تكلم بلهجة قاسية:

- إيه اللي وصلك الجُثة دي هنا!!
- مش شغلك يا عماد.. خلّص بقى، خد فلوسك أهي.

أعطيته خمسمائة جنيه بالضبط، فنظر لهم بعد أن عدَّهم مُسرعًا وقال:

- بس دول خمسة بس يا باشا..
- ليه وإحنا كُنا متفقين على كام؟
- خمسة ونص!
- جت ع النص يعني! خليك جدع واعمل واجب، أنا عاوز الجُثة دي تختفى للأبد، وبيني وبينك هيبقى فيه شغل كتير، إتجدعن انت وانا

هزودلك الفلوس دي متين.. بس انت إخفيها للأبد.. مش عاوز حد يعرف الحوار ده يا عماد، لإن لو حد عرف.

وهمست في أذنه بصوت خفيض نسبيًا:

- هتبقى زيها..

وربت على كتفه، فأومأ رأسه برعب، حملها على ظهره بخفة، فأنزلها فجأة:

- مش هينفع تنزل بالمنظر ده..
- عينيًا، حالًا أجبلك شوال..

ذهبت إلى المطبخ وأحضرت الشوال الذي به بعض الأرز، كان يحتوي على قدرٍ ضئيلٍ فافرغته بداخل طبق كبير، وذهبت له، وضع الجُثة بداخل الجوال وربطه جيدًا، وحمله على ظهره وانطلق، كُنت خلفه، فأخذت أنفاسه تعلو وتهبط بمجرد نزولنا، عرفت بالطبع أن الجُثة ثقيلة،وضعها في عربته النصف نقل وانطلق بها، سمعت صوت المُحرك، فانطلقت السيارة ويعلو وجه عماد الصدمة والدهشة، وأنا لا أعرف السبب.. ونظرت آخر نظرة إلى جثمانها..

الذى رحل.. ولن يعود أبدًا!

* * *

استيقظت من غياهب النوم على صوت المنبه المزعج، أمسكته ونظرت به لأجد الساعة تدق أبوابها على الثانية عشرة إلا عشر دقائق، كان اليوم هو الجمعة، فذهبت كي أتوضأ وأذهب لأداء الصلاة، أعرف ما يخطر ببالك الآن.. "أأنت مُجرم وتصلي؟"، هذه "حلاوة الروح" يا أخي.. انتهيت من التوضأ، ذهبت إلى الغرفة كي أبحث عن هاتفي، وجدته.. اتصلت بسامح، " هذا الرقم غير موجود بالخدمة " بدأ الشك يعلوني!، ما الذي حدث لسامح؟، أنا لم أعرف له بيتًا بعد!، ولم يمر عليَّ منذ يوم نقل الجُثة – الذي قد مرَّ عليه ثلاثة أيام -، ولكن لحظة، لِمَ أنا طويل هكذا؟، ولِمَ لحيتي كبيرة لتلك الدرجة؟، كم يوم نمت أنا؟، وهل النوم يزيدني طولًا ويجعلني أرفع مما كُنت عليه؟، ما الذي حدث؟، البيت بيتي.. والسرير سريري، والوسادة وسادتي!، فما الذي حدث، ذهبت كي أرى وجهي في المرآة فسمعت صوت الهاتف فلهاني عما كُنت سأفعله، أخذته ورديت:

- أيوة مين؟، سامح مين؟، الرقم غلط يا حجة.. يا حجة أنا إسمي وحيد مش سـ.. ، أمي؟، أمي إيه إحنا هنستعبط؟، أمي ميتة يا حجة من وأنا صغير.."

وأغلقت الهاتف، ألقيت الهاتف على الأرض وركضت مهرولًا ناحية المرآة، وقفت أمامها لعدة لحظات، ما هذا، ما الذي حدث؟، يا الله كيف حدث هذا؟

لم يكن وجهي.. بل كان وجهه، وجه سامح!

* * *

(عودة لما بعد النهاية)

- يعني إيه؟

ابتسمت بانتصار وأجبت:

- مش قلتلك القصة هتحلو..

* * *

صرخت من هول المنظر، وضعت يدي على وجهي، على يدي.. على شعري، ما الذي حدث؟، هل أنا مريض؟، أشعر بأن كُل شيء من حولى يلتف ويرقص، سأظل أسأل، ما الذي حدث؟

رأيت كفِّي الأيمن بعد أن جذبني شيء بداخلها، هدأت قليلًا ورأيت تلك الرسمة، لقد كانت رسمة صغيرة مرسومة بقلم جاف أزرق، يقف رجل في الناحية اليُمنى من كفِّي واضعًا يده على رأسه، ورجل آخر جالس في منتصف كفي يستند على يديه فاردًا قدميه، أما الثالث كان واقفًا، ولكنه قريب من أذن الشخص الجالس وكأنه يهمس بها.. رسمة مُريبة جعلتني أرتعد عندما وجدت أسامي مكتوبة فوق كُل شخص، الشخص الأول الذي كان يقف في الناحية اليُمنى مكتوب فوقه (سامح) والجالس في المُنتصف مكتوب فوقه (وحيد)، أما الشخص الأخير فمكتوب فوقه (حاتم)

السؤال الأهم من "مَن حاتم؟"، هو "من رسم تلك الرسمة؟"، الصُداع فشخ رأسي بسبب تلك الأصوات التي تعلو، هل أُخرِّف؟، تأملت الرسمة جيدًا، ولم أكن لأعرف من رسمها، وأظنني لن أعرف أبدًا، " يا سااامح..

إنت فين؟". سرت رعشة بجسدي مرة أخرى عندما سمعت هذا الصوت، صوت أعرفه وسأظل أعرفه إلى الأبد.. كُنت أخاف عندما أسمع هذا الصوت الأجش!، لم أذهب حتى إليه، سأجعله هو من يحضر إليَّ، يا ترى هل هو؟، سمعت صوته من الحمَّام، فرأيت قدميه يتحركان بالصالة، اقترب منِّي وأنا أسمع صوت خطواته.. فتكلم بدوره:

- إنت فين يا ابني، مش انا قاعد بدور عليك من الصبح؟

نظرت إلى وجهه بخوفٍ، لقد كان هو، أبي!

* * *

ومرت الأعوام.. وها أنا ذا أحتفل بعيد ميلادي السادس والعشرين، ها قد مر عامٌ دون جديد، مرَّ عليّ من دون أن أفعل شيئًا يستحق أن أعيش لأجله، لِمَ يهنئوننا بعامٍ ضاع من عُمرنا بلا فائدة؟، إن الدُنيا مُجرد لعبة، لعبة صغيرة.. تُحبها بشدة في بداية شبابك، وعند التعب، تتمسك بها، إلى أن تيأس منها، لا جديد ولا جديد، أعمارنا تذهب بلا رجعة.. ونحن نقف نُطفئ الشموع، ونلعب نفس اللعبة الكئيبة المملة الرتيبة، الكوابيس ظلت هي حياتي، وها أنا أحتفل بعيد ميلادي مع صديقي سامح، صديقي الوحيد، لم أقص عليك – يا دُكتور- الذي حدث بعدما رأيت والدي، قد كان كابوسًا هو الآخر، كابوسًا جعلني أرى نفسي سامح وأبي حيٌّ يُرزق، ولكن الذي جعل عمري جحيمًا فعلًا، هى تلك الرسمة التي لم تُمسح أبدًا من كفي، سأموت وأعرف سر ولغز تلك الرسمة.. والشخص الغامض الذي أحب أن أراه ولو لوهلة كي أعرف هو من رسمها أم لأ..

وانتهت عُقدة القتل، أو بمعنى أدق.. انتهت لزمنٍ آخر ولوقت لاحق، ولكن في كُل يوم.. أشعر بنهمٍ شديد تجاه القتل، وفي مرة حاولت قتل نفسي.. ولكن لم أستطع، لم أستطع أن أقفز من الدور الرابع، لحظة حَوَّلت حياتي لطعام ينقصه الخُبز، في يوم آخر رأيت والدي، ولكني رأيته بالشارع.. رأيته يسير بجانبي ويبتسم لي، واليوم أيضًا رأيته يهنئني بعيد ميلادي، ويقول إنه آخر عيد ميلاد لي، لأني سأعيش في عذاب بلا نهاية.. رأيت كوابيس لم يرَها أحدٌ من قبل، كُنت أعيش في خوف شديد ولازلت أعيش بداخله..

- روحت فيين؟

أيقظني من غياهب الذكريات، أحمد الله كُل يوم على صديق مثل هذا، فكم نتمنى جميعنا من الله أن يصير إلينا صديق يدعونا إلى المعروف!:

- أنا هنا يا عم سامح، معلش..
- كُل سنة وانت طيب يا حُبي.. عقبال خمستلاف سنة..

ابتسمت له، فابتسم هو الآخر، لم أعرف ما الذي حدث وجعلني أتذكر جُثة أبي التي اختفت!، وجعلني أيضًا أتذكر يوم ما كُنت سامح وأعيش بجسده، ما معنى هذا؟، لِمَ نزلت عليّ تلك الأحداث كشريط يُعرض يوم الوفاة؟..

جُثة أبي..

أمي..

حبيبة..

سامح..

عم سيد..

فكرت بهم دُفعة واحدة..

وخطرت ببالى فكرتين..

فكرتين أعظم من كُل شيء!

* * *

وبدأت الحفر!، أو هكذا تخيلت.. لقد كانت الفكرة الأولى هي أن أرى ما تحت بلاط هذا البيت، فمن يدري!، ربما تكون الجُثة هُنا أو هُناك، لم أحفر بالمعنى الحرفي للكلمة، بل بدأت بإزالة كُل البلاط الموجود عن طريق وضع معدن رفيع جدًّا في الفراغات، وأدق بشدة كي تنفتح معي، فعلت هكذا في الصالة، في غرفتي.. في المطبخ، لم أجد شيئًا.. نظرت إلى الساعة، وجدتها الرابعة فجرًا، ها هو صوت الأذان يعلو، فأغمضت عيني في راحة، أرتاح دومًا عندما أسمع صوت أذان الفجر.. والفجر خصيصًا ولا تسألني لِم.. وخطرت ببالي فكرة أخرى، هي الدخول لغرفة أبي.. ربما أجد شيئًا يدلني على شيء لا أعرفه!، لم أفتح تلك الغرفة منذ موته، يا ترى ما الذي سأجده بالداخل؟، فتحت الغرفة ببطء، مُحرِّك الكهرباء لا يوافق على الإضاءة، فتركته وأتيت بالكشاف الخاص بي من الخارج وأضأته، وبمجرد أن دخلت للمرة التانية، سعلت بقوة، سعلت حتى ذرفت دموعًا بالرغم عنِّي، ما تلك الرائحة الكريهة؟، رائحة شخص مدفون هُـ..

ماذا؟، ماذا قُلت أنا؟، رائحة شخص ميت!، نعم.. نعم هذا ما قلته، أبعدت السجادة عن الأرض، وبدأت في إزالة كُل البلاط، إلى أن الرائحة ازدادت أكثر وأكثر، وجدت بلاطة بعيدة كانت أزيلت من قبل، ركضت لاهثًا نحوها، فتحت بيدي لأنها كانت مفتوحة من قبل، ورأيت عظام قدم!!، عظام قدم مدفونة هُنا، الرائحة ازدادت، سأموت هُنا بسبب الرائحة!!، بدأت لاهثًا في إزالة الباقي، وأزلتها كُلها بالفعل، فكانت النتيجة..

جُثة أبي ها هُنا.. رأيت عظامًا، عظامًا فقط، لم اكن لأرى شيئًا آخر، أظن هذا يكفي، صدمتي تعلوني والدهشة تجتاحني، أشعر بأنني غارق في بحرٍ لا قاع له، وأرفع يديَّ ثلاث مرات كي ينجدني أحدهم، فلا شيء، وأسقط رويدًا رويدًا، ويتلاشى كُل شيء!

ولكني لا أسقط الآن، بل تنغلق عيناي لا إراديًا، وأسقط أرضًا دون مقاومة تُذكر!

واستيقظت.. استيقظت وعيناي محملتان بألمٍ لا أعرف مصدره، ولازلت أشعر بنفس الرائحة الكريهة، فتحت عينيَّ ببطء شديد وجدت أشعة الشمس تأتي من فتحة صغيرة بالشباك، فأغمضتها مرات عدة، وجلست على الأرض، وتذكرت الجُثة، جُثة أبي!، قُمت من مكاني مرعوبًا، نظرت إلى مكان الجُثة، وجدتها مكانها، فاطمأن قلبي.. لا يوجد غرابة في شيء، لقد فعلها من قبل!، جثيت على ركبتي، وانفجرت باكيًا لا أعلم لماذا؟، سبب ما جعلني أشعر بالذنب تجاه كُل من ظلمتهم، ليتنا نشعر بالذنب والندم عندما نفعل ما يُندّمنا!،ذكريات خاطفة سريعة كالكمة خُطافية في مباراة مُلاكمة، ما الذي كان سيحدث لو كُنت سامحت حبيبة؟، ما الذي

كان سيحدث لو كُنت سامحت أبي؟، ما الذي كان سيحدث لو كان أبي لم يقتل أمي؟، أسئلة لو سألتها لن أنتهي لأني لن أعرف إجابتها أبدًا!، كفكفت دموعي وقُمت من مكاني بمساعدة الحائط، ودخلت إلى الصالة، واتصلت بسامح، كي يأتي ويرى تلك المُصيبة التي حلّت على رأسي، فهو فقط من سيستطيع مساعدتي..

فتحت اللاب توب الخاص بي، قُمت بعمل حساب شخصي على الفيس بوك سريعًا، عندئذ لم أفهم شيئًا، وجدتني في صفحة بيضاء كبيرة، لها صف على يدي اليُمنى خاليًا من أي شيء، وصفحة بيضاء خالية أيضًا، ودخلت على قائمة إضافة صديق، وبدأت في إضافة جميع الفتيات اللواتي أمامي، فالقتل وجبة يجب أن تقدَّم باردة، كما قالوا في الصين!

لقد أخذت قراري، سأقتل ثانيةً إلى أن أشعر بإرضاء ضميري الذي لا يوافق على قرار عدم القتل!، الانتقام من الفتيات شيء لذيذ للغاية، يعيشن ويعبثن بالأرض الطاهرة. بعد مرور دقائق من التفكير، شعرت بأن الجهاز يهتز وصدر منه صوت مرتفع قليلًا، رأيت ما الذي أظهره، - لقد وافقت Abeer Mohamed على طلب الصداقة – مم، جيد للغاية، سأحادثها الأن.. ولكن أنا لا أعلم هل ستقبل أم لأ، أنا لا أعرف شيئًا!، لا أعرف ما الذي شجعني على القتل مرة أخرى!، هل هو الذنـ...

" إنت مش وحيــد!"ما هذا الصوت؟، من الذي تكلم؟، من أين يصدر هذا الأنين الذي أسمعه؟، قُمت من مكانى مرعوبًا، لقد كان يصدر من غرفة أبي المقتول!!!، لقد.. لقد أزلت البلاط بأكمله ولم أرجعه كما كان؟،

عظامه المُتناثر في أرضية الغرفة سيجلعه حيًا!، تبًا للأفلام الأمريكية!، هل شبح أبي قد أتى لينتقم منى؟

" إنت مش وحيــد!"

الصوت يتكرر، الصداع يجتاحني بشدة! لوهلة نظرت إلى خنجري المعلَّق في الصالة، هرولت إليه وأخذته، من ثم ركضت لاهثًا نحو غرفة أبي، وقفت للحظة، أغمضت عيني مُفكرًا فيما بالداخل، ولكني تشجعت أكثر وأكثر، ووضعت يدي على مقبض الباب، وفتحته.. فتحته ببطءٍ شديدٍ كي لا أرى ما بالداخل دُفعة واحدة..

لقد رأيت أبي، ولكن في تلك المرة كان واقفًا أمام الباب بالضبط، ومن الواضح أنه ينتظر دخولي، انتهى أنينه، وقد جحظت عيناي وتركت لجُفنيَّ العنان!، فابتسم أبي لي، وقد مسكني من كتفي بقوة بيديه الاثنتين، وألقاني نحو الحائط، ليضربني بشيء لم أرَه، لأشعر بأن الأرض تلتف أكثر وأكثر، ونظرت خلفي بصعوبة، فلم أجد له أثرًا..

ولتنفتح الستارة السوداء التي حجبت عنِّي رؤية كُل شيء.. وأي شيء!

* * *

صوت صنبور المياه أزعجني، واختطفني إلى مكانٍ لا أعرفه، سقف هذه الغرفة لم يمر على عيني من قبل؟، الصداع يجتاحني بقوة، وألم شديد برأسي، لِمَ لا أقوى على الوقوف؟، أين أنا؟، نظرت بجانبي وأنا مُمدد الجسد، وجدت أسرّة أخرى وأناسًا ينامون عليها، لم أحتَج لذكاء خارق كي أعرف أني بمستشفى!، هل ضربة أبي جعلتني أرقد بمستشفى، هل

كانت خطيرة لتلك الدرجة؟، ومن أتى بي إلى هُنا؟، نظرت أمامي فسمعت صوت الباب يُفتح، لقد كانت طبيبة، طبيبة ناصعة البياض - كأني رأيت ذلك الوجه من قبل- ترتدي بالطو لونه أبيض خاص بالأطباء، تقترب منِّي قائلة:

- صباح الخير، إزيك النهارده؟

تكلمت بصوت خفيض:

- أنا مش عارف حاجة؟
- متجهدش نفسك، إحمد ربنا إنك فوقت، إنت كُنت ممكن تروح فيها!
- ليه إيه اللي حصل لكُل ده؟
- إنت مش فاكر؟

ترددت!، أنا لا أعرف ما الذي سأقوله لها الآن؟:

- تقريبًا!
- لأ، ياريت تقولي إجابة قاطعة..

قُلت بكُل ثقة:

- أنا إسمي وحيد!، وحيد كامل!
- مش موضوعنا، بقولك فاكر اللي حصلك ولأ لأ؟
- لأ مش فاكر خالص.. ممكن تقوليلي!؟
- الحادثة؟
- أنا مش فاكر غير إني وقعت على راسي وانا في الحمَّام؟

حاولت جاهدة إخفاء توترها!، ولكني علمت أنها متوترة لا تسألني كيف!:

- أمم، تقدر تقولي إحنا في سنة كام؟

- 2012!

- جميل!، شهر كام؟

- فبراير، ممكن أعرف فيه إيه؟

- يا أستاذ مفيش حاجة، إنت بس تعرضت لضربة ومحدش عارف مين اللي ضربك، والتقارير اللي وصلتني إن مفيش حد لا دخل ولا خرج من شقتك؟

ابتسمت ابتسامة ساخرة رغم الألم، فلقد كُنت أعرف من ضربني، لقد كان هو، شبحه!:

- لو قلتلك مش هتصدقي!

فجلست الطبيبة على الكُرسي، واقتربت منِّي قائلة:

- مين؟

نظرت يمينًا ويسارًا وهمست:

- مش عارف!

أبعدت وجهها عنِّي في غضب وخيبة أمل:

- إنت شايف إن ده وقت هزار؟، يا أستاذ مين اللي ضربك؟، دي قضية يا أستاذ!

- وأنا بقول لحضرتك أهوا، أنا فعلًا مش عارف اللي ضربني؟

- هيكون إيه يعني؟، عفريت!

"وهو كذلك" قُلتها في نفسي، كُنت أود القول لها، ولكنها لن تصدقني:

- على العموم أنا عارفة إنك مش هتتكلم دلوقت، شوية وهعدي عليك تاني..

وقامت من مكانها، وأودعت الكُرسي مكانه، واستطردت:

- وأتمنى منهرجش!

وخرجت، هي تظنني أمزح، ولكنني فعليًا لا أعرف مَن فعل بي هكذا؟ مُستحيل أن يكون أبي الميت!، ومستحيل أن أكون أنـ...

- حمدلله على سلامة البطل..

نظرت يميني تجاه الصوت، وجدته سامح، يمسك ورد في يديه، ابتسمت له وابتسم لي، لقد كان سامح هو الصديق الذي يتمناه الجميع!

* * *

خرجت من المشفى، شعرت بألم ينتابني من حينٍ لآخر في رأسي، من ضربني ليلتها؟، أبي قُتِلَ منذ سبع سنوات، ولم يدخل أحد الشقة أبدًا!، أأنا مُختل؟، هُناك اختلال بعقلي!، لا يهم الآن، فتحت باب الشقة ودخلت، عندما أغلقت الباب، سمعت صوت دق على الباب، ففتحت دون أن أنظر من العين السحرية!، وجدتها أنثى!

كانت جميلة للغاية!، بل كانت رائعة!، ملكة متوجة على عرش الجمال!، كانت عيناها خضراوين، ووجهها يشبه القمر في ليلة التمام، خطفتني إلى

مكان لا أعرف معالمه!، ولكنها جعلتني أشعر بأني ملكُ أيضًا يطلب يديها!، بل ولوهلة شعرتها زوجتي!:

- أستاذ وحيد!.. إزي حضرتك؟

عُدت من غياهب الذكريات، وتكلمت معها:

- أيوة!، مين حضرتك؟

تنحنحت في خجل:

- أنا سحر، جارتك الجديدة هنا في الشقة اللي قُصاد حضرتك..

ظهرت معالم التعجب على وجهي:

- بس الشقة دي مقفولة بقالها سنين!
- إحنا أخدناها من صاحب العُمارة.. وعرفت منه إن حضرتك كُنت في مستشفى ولسه شايفة حضرتك وانت راجع، حمدلله على سلامة حضرتك..

بابتسامة تكلمت، فابتسمت!:

- هو كُل شوية حضرتك ليه كده؟، إنتي في سنة كام؟
- أنا تانية حقوق..
- طيب يا ستي، أنا مخلّص كُلية من زمان أي نعم، بس مينفعش تقولي حضرتك.. ماشي يا ست سحر؟

طأطأت رأسها في خجل، وتركتني على باب الشقة بأدبٍ، أما أنا، فكُنت أقف وحدي على عتبة الشقة، مع ضوء المصباح المُتلألئ، وابتسامتها التي

جعلت للحياة طريقًا!، أخيرًا قد رضيت عنِّي الحياة بابتسامة مثل تلك!، ولوهلة فكرت في يوم ذبحها، مرت لحظات عليّ غريبة!، صوتها وهي تصرخ في مُخيلتي، وجهها ينزف دماءً، وشعرها انسدل على كتفيها، تصرخ وتستنجد بي! "أنا آسفة يا وحيـد". كُل هذا كان في مُخيلتي!

تصاعدت أنفاسي ببشاعة، ودخلت إلى الشقة بُسرعة، هل ستمر عليّ تلك اللحظات في يومٍ ما؟، حتمًا!

وفتحت جهازي، قررت فتح – الفيس بوك Facebook – لأُحادث أي فتاة، رغبتي في القتل تزداد يومًا بعد يوم، ولن أرتاح في يوم إلا عندما أقتل نفسي!

رأيت فتيات كثيرات، وأغلبهن عاهرات، وقررت قتلهن جميعًا!، فكرت بـ "عبير محمد" التي قبلت طلب الصداقة، لأحادثها، فما الذي سيحدث، دخلت على الـ(شات) وبدأت في المحادثة!:

- صباح الخير..

انتظرت دقائق!، وأتاني الرد:

- صباح النور، مين؟
- أنا وحيد.. ستة وعشرين سنة، وانتي؟
- ممكن أجيب كُل المعلومات دي من الـ( About) عندك على فكرة؟، خير!!

- أنا مقصدش أي حاجة؟ أنا بقالي فترة ووالله ما قصدي أي حاجة، بدوّر على أي بنت تحللي مشاكلي، وبعت طلب صداقة عشوائي لبنات أنا معرفهمش.. إنتي قبلتي الطلب، فهل ممكن أتكلم معاكي؟

رأت الرسالة ولم ترد؟، ما معنى هذا، من الواضح بل من الأكيد أنها لم توافق على عرضي!، ها هي تكتب؟؟، ابتسمت بنصر ورأيت رسالتها:

- إسمي عبير، إتنين وعشرين سنة..
- ممكن نتقابل يا عبير؟
- مفيش مشكلة، بس ماتفكرنيش شمال! إنت اللي طلبت مش أنا؟
- والله أبدًا.. خلاص نتقابل بُكره؟
- الساعة اتنين في الأزهر بارك، أوكِ؟
- أوكي يا عبير، بُكره في الأزهر بارك ☺

ومن هُنا، بدأت حكايتي مع الموت!

* * *

(عودة لما بعد النهاية)

- مش عارفة، حاسة القصة لحد دلوقت فيلم عربي قديم.. وفاشل كمان؟
- ومين فينا حكايته مش فيلم عربي قديم!
- وحيد أنا ممكن أفهم إنت جاي لدكتور نفساني ليه؟
- عشان عاوز أحكي!، حكيت لكتير ومسمعونيش.. دُكتورة أنا مريض..

- إنت مريض يا وحيد فعلًا.. لكن ممكن تختصر؟!
- اللي أعرفه عن الدكتور النفساني بيسمع كتير!
- فعلًا، لكن أنا عاوزة أعرف حاجة.. الهلاوس اللي بتجيلك دي، لسه بتجيلك لحد دلوقت؟
- هتعرفي أما نكمل!، وانتي اللي هتحكمى في الآخر..

* * *

مرت الأيام، وعلاقتي بـ"عبير" زادت حُبًا! ليس منِّي بل منها بالطبع، شعرت أنها تُحبني، فقد صُدمت عندما علمت أنها فتاة ليل!، شعرت بأمرٍ صعب وهي تُكلمني عن حياتها المأسوية، لقد كانت نظرات عينيها حزينة، بها حُزن دفين!، رغم ابتسامتها كُنت أشعر بحُزنها المخفي، تُحاول جاهدة أن تُخفيه، ولكنى أعرفه!

كانت أمامي في شقتي، شقتي الكئيبة التي بها جُثة أبي التي دهس عليها الزمن!، جلست على كُرسي وهي تجلس على الأريكة، لم تكن جميلة، ولكن روحها مرحة، طويلة نسبيًا، تمضغ "لبانة" طوال الوقت باستفزاز، كانت تنظر إليَّ نظرة حُب وود، فأردفت:

- وحيد إنت بتحبني؟

تكلمت بلامبالاة:

- ممم، لأ!

شعرت بأنها ستُذرف دموعًا!، فاستطردت قائلًا:

- من أول يوم وانتي معايا وانا قايلك إن احنا اخوات، صح؟
- أيوة بـ..
- أنا مالمستكيش!، أنا في كل مرة بقولك بلاش أنا صح؟

طأطأت وجهها في حُزن فاستطردت:

- عبير، أرجوكي بلاش أنا، أنا عمري مالمست بنت في الحرام.. عشان كده بقولك خليني أنا بعيد..
- وحيد، إنت عارف إيه اللي مخليني كده؟، وعارف مين اللي مخليني كده؟
- لأ معرفش!

تنهدت في حزن أكبر وتكلمت:

- أبويا يا وحيد.. أبويا!

صُعقت من الجملة!، شعرت بالحُزن تجاه تلك الفتاة، فأردفت:

- إنتي بتقولي إيه؟
- أبويا والله يا وحيد، المشكلة مش في كده، المشكلة إنه هو بيشغلني كده عشان عاوز ياخد فلوسي، أنا لو ماكنتش قلتلك إن أنا كده إنت عمرك ما كنت هتفكرني كده!، صح؟
- صح.. طيب وإيه اللي جابرك؟
- وانا في إيديا إيه ماعملتوش؟
- مش عارف!

من ثم شعرت بالحيرة تزداد على وجهها، ولكنها فجأة لبتسمت:

- طيب ما تتجوزنى، إنت لو إتجوزتنى يبقى كده هو مش هيقدر يلمسني!

- أيوة بـ...

- هتتجوزنى يا وحيد!

فقامت من مكانها كالشيطان!

ولكن هل هُناك شيطان جميل لهذه الدرجة؟

* * *

ظهرًا، الشمس ساطعة حارقة، جلعتني أسب وألعن النزول بسببها!، مشينا أنا وعبير في منطقة لا أعرفها، منطقة غريبة الأطوار، منظرها يدل على ذلك، سيدة تجلس بجانب مقلاة الزيت، وتضع عجينة الطعمية بها، رغم بساطتها وفقرها، لكنها كانت تبتسم، تبتسم لأنها تعرف أن القادم أفضل، سواء لها أو لأبنائها!، هي ستموت وستدفن، ولكن أبناءها سيعيشون بسلام ولو للحظة!، تركتها بابتسامتها وتابعت عبير، دخلت أحد البيوت المجاورة، وطلبت منِّي أن أنتظر.. فانتظرت!

مرت دقائق معدودة، وسمعت صياح أبيها، فدخلت أنا بمفاجأة:

- مين ده يا بنت الكلب؟، تلاقيه واحد من اللي بـ...

اقتربت منه قبل أن يُكمل كلماته، وعصرت رقبته بيدي، فانخرس!.

فقُلت له ببرود أعصاب:

- بص بقى، من هنا ورايح، مسمهاش بنت كلب.. عارف ليه؟ لأنك انت اللي أبن كلب، الست دي مش هترجع لك تاني، ومش هتشتغل شُغلنتك الوسخة من تاني، لأنها مراتي، فاهم؟.. يعني أنا سندها في الدنيا دي..

اعتصرت المفاجأة عقله، فأتسعت عيناه بدهشة، واشتدت ملامحه، شعرت أنه سيقتلني ضربًا!، ولكني التزمت الصمت، نظر إليها وتكلم بصعوبة بالغة:

- إتجوزتي؟؟، إتجوزتى يا عبير!

تركته سابح في تفكيرات عقله الواهية، وأمسكت يدي عبير وقُلت له:

- لو نخورت ورانا، مش هيكفيني فيك القتل..

فذهبت، ذهبت وابتسامة النصر تعلوني، نظرت إلى عبير، فوجدت عينيها تتحدثان، شعرت أن عينيها ستُدمع فرحًا!، فأمسكت يديها بقوة لتشعر بالأمان، وخرجنا إلى أبعد منطقة كي نستقل وسيلة تصلنا إلى بيتنا، شعرت بالشفقة تجاهها، شعرت بأن قلبي سيقتلني بعد أن أذبحها!

فالليلة ستنتهي قصتها!

* * *

- وحيد، أنا خايفة..

اقتربت منها وهي جالسة على الأريكة، وهمستُ:

- قلتلك متخافيش طول ما انا معاكي!

ابتسمت، وطأطأت وجهها إلى أسفل خجلًا، وللمرة الأخيرة سأبتسم لها، أنا أريد أن أبكي!، أريد أن أنام على حجر أمي، ليتني ذهبت إلى المدرسة في ذلك اليوم المشؤوم!، ضحيتي الثالثة مُجرد شخصية هادئة، جميلة!، لِمَ أقتلها؟، رغبتي العارمة تُريد قتلها!، عقلي يريد القتل، وقلبي يريد السلام!، سمعت صوت يتردد في عقلي بشِدّة: "إقتلها!"

الصوت يتكرر بشدة، ورغبتي العارمة في القتل تزداد، استأذنتها وذهبت إلى المكان الخاص بخنجري، ذهبت وأمسكته بيدي اليُمنى، رجعت مكاني كما كُنت، وجلست على الأريكة قبالتها، وابتسمت لها ابتسامة ماكرة:

- عبير..

فنظرت إليّ بابتسامة هى الأخرى:

- أنا آسف..

ولم أعطِها الفُرصة كي ترد، قُمت من مكاني مسرعًا، ورأت هي الخنجر وأنا أخرجه من غمده، لم تصرخ.. لم تبكِ، لم تفعل أي شيء، بل رأته فأغمضت عينيها في سلام.. لأضع الخنجر على رقبتها..

وأذبحها!

* * *

شعرت بشيء ما يغزوني، إنه الحزن!.. لقد عرفت لِمَ، أنا لم أحبها، ولكني أشفقت عليها وقتما نظرت إلى الخنجر وابتسمت، هل كانت تعرف أني قاتل للنساء؟، عندي رغبة كبيرة في الإجهاش بالبكاء!، لم أتساءل أكثر من هذا، بالفعل ذرفت دموعًا بالرغم عنّي، تذكرت عندما كانت تقول لي "أنا خايفة يا وحيد"، كانت تعتبرني شخصًا سيساعدها، أنا ساعدتها، ولكن مساعدتي لم تكتمل بسبب قتلي لها، جثوت على رُكبتي بجوارها، وبدأت في الحديث:

- إنتي عارفة يا عبير، يوم ما سألتيني انت بتحبني ولا لأ، وانا جاوبت عليكي وقلتلك لأ، صح!، أنا خُفت أوي أقولك إني مابحبكيش، عارفة ليه؟، عشان عارف إن فيوم هتقطع من الحزن عشان دبحتك..

وبدأت الدموع تزداد أكثر، فاستطردت:

- يارتني كُنت قلتلك.. على الأقل كان زمانك عارفة إني بحبك.. كُنت بتقطع من جوايا، قلبي بيقولي إنت بتحبها، لكن عقلي رافض إني بحبك.. مش عارف كان رافض ليه!

كفكفت دموعي وابتسمت قائلًا:

- في يوم هقابلك، وهتبقي زعلانة أوي إني عملت فيكي كده.. بس انا متأكد، على أد زعلك. على أد ما أنا مُتأكد إنك بتحبيني..

وعاد فجأة كُل شيء!، عادت الذكريات، عاد مشهدها وهي تبتسم لي، تلك الابتسامة التي ستحول حياتي إلى جحيمٍ أبديّ.. لأنه الندم!، الندم على اقتراف شيء لم أكن لأقترفه، كفكفت دموعي للمرة الثانية، واستندت

**على الأريكة، قمت من مكاني ذاهبًا إلى غرفتي كي أحضر الهاتف، أخذته من الكومود وطلبت عماد.. كي يأخذ الجُثة.. ويأخذني..**

**طلبته فقال لي أنه سيأتي بعد نصف ساعة من الآن، فجلست أنتظر على الأريكة، فتحت كفي الأيمن ورأيت ذات الرسمة، نفسها لم تتغير!، سأموت إن لم أعرف من رسمها!، من حاتم هذا؟، أسئلة كثيرة لا إجابة لها، لا أعرف لِم شعرت بألمٍ برأسي عندما بدأت الأسئلة تحل على رأسي فجأة!**

**سمعت صوت طرق على الباب، بالتأكيد هو عماد، ذهبت إلى الباب لاهثًا وفتحته، لقد كان هو فعلًا، ابتسم لي قائلًا:**

- **إزيك يا معلم؟**

**أجبته بغرور:**

- **الجُثة في الحمّام، خَلَصني...**

**مُحوت الابتسامة من وجهه، وذهب إلى الحمَّام، أمسك بالجوال الكبير وحملها فساعدته على حملها، ووضعها بداخله، ربطها جيدًا كي لا تقع منه أثناء حملها، انتهى وبدأت قطرات العرق تتساقط من أعلى جبينه، فأعطيته مالًا كي يبتسم مرة أخرى، نظر إلى المال وعدّهم جيدًا، فأومأ رأسه أن "تمام" فوضهم في جيبه، وأمسك بالجثة ووضعها على كتفيه، وأنا أمسكت بها أيضًا وحملتها مثله، ونزلنا سويًا إلى الشارع، وضعت الجثة معه في سيارته النصف نقل، دخل هو دون أن ينبس بكلمة واحدة، وأدار المحرك لينطلق، شعرت براحة خفيفة عندما انطلق،**

فأخذت نفسًا عميقًا، وصعدت إلى شقتي، ودخلت إلى الحمام، وبدأت بتنظيف كُل ركن فيه..

* * *

استقل "عماد" سيارته النصف نقل وانطلق بها، فتح هاتفه واتصل بشخصٍ ما:

" إيوة يا باشا، الجُثة جاهزة وزي الفل، بُكرة.. زي ما اتفقنا، هاخد عشر بواكي، أنا عامل معاك واجب.. متقلقش يارِّس، بس لما تنجح بقى تبقى تجبلنا الحلاوة، يا جدع بقولك أما تنجح!، إنت مش هتبقى دكتور!، عاوزينك تكشف علينا ببلاش بقى.. هاهاهاها، سلام يا معلم" وارتسمت على وجهه ابتسامة، بل شبح ابتسامة!

* * *

وفي اليوم التالي استيقظت، استيقظت بعدما شعرت بألمٍ يغزوني في ذراعي الأيمن، نظرت يمينًا ويسارًا.. ورفعت ذراعي تجاهي، لقد كانت دماء!!،دماء تنزف من بداية كوعي إلى كفي على شكل خط صغير، فتحت كفي وعيناي متسعتان عن آخرهما، ونظرت إلى الرسمة التي تغيرت!، لقد تغيرت الرسمة برسمة أخرى!، لقد كان هُناك شكل كبير، من الواضح أنه قصر كما مكتوب أعلاه.. ولكن الغريب حقًا هو الشخص الذي يقف بظهره لي، ومكتوب فوقه "وحيد"!، إنه أنا!!!، ومكتوب بأعلى الرسمة وفوق القصر "قصر البارون"

نسيت آلامي، ونسيت الدُنيا، ونسيت الحياة.. ونسيت كُل شيء.. لقد وصل لي المغزى من تلك الرسمة..

نظرت أمامي بصدمة عارمة تجتاحني وتجتاح أطرافي التي ترتعش بسبب الخوف..

إن الحقيقة تُكمن في قصر البارون!

* * *

ليلًا، والسماء معتمة والوجوه عابسة، خرجت من منزلي سائمًا الدُنيا وما عليها، خائفًا مما سيحدث لي من هذا الشبح الذي لا أعرفه!، قد يكون هذا الشبح هو نفسي!، لا وقت للتساؤلات، فرحلتي صوب قصر البارون ستجهدني كثيرًا، ولكن لِمَ قصر البارون؟، لِمَ هو بعينه؟، لا تُهم تلك الأسئلة الآن، استقليت الميكروباص وجلست في آخر أريكة، الخوف يُحاصرني ولا أريد سيدة مُزعجة همها الوحيد هو إرجاع باقي العشرين جنيهًا لها!

كُنت أراقب الطريق باهتمام، وفي نفس الوقت أشعر بأن كُل الوجوه التى في الميكروباص الآن تبتسم لي بسخرية، نظرت لهم جميعًا بأعين خائفة، فسمعت صوت أحدهم:

- خايف؟

كان الصوت يأتي من جانبي، نظرت تجاه الصوت وجدت شابًا في مُنتصف العشرينات، له لحية كبيرة نسبيًا ونظارة نظر، شعره كثيف نوعًا ما، وأكبر دليل على عدم اهتمامه بنفسه هو ارتداؤه لملابس غير لائقة به تمامًا!:

- إنت مين؟

**همستها خائفًا، فتكلم هو بابتسامة:**

- **مش مُهم، شخص مش لازم تعرفه.. اللي لازم تعرفه، إنك داخل على حياة بلا نهاية.. وهتشوف ده بنفسك لما تروح القصر..**

**ارتعبت وأخذت أنفاسي تتصاعد، كان ينظر إليّ بنظرة مرعبة حقًا، شعرت أنه سيقتلني لولا كلمته التي سحقتني رعبًا:**

- **إسمك إيه؟؟**

**فتكلم هو وقال:**

- **أنا حاتم يا وحيد.. أنا جيّلك هنا عشان أنفّذ الأوامر.. هبقى معاك لآخر لحظة.. أنا متأكد إنك عارفني وحاسس اني هجيلك..**

**صُعقت!، لقد كان هو الشبح الذي يُطاردني، هو حاتم الذي رُسم على كفي!، عيناه كانتا تُشعان شرًا يمتد لقرون، نظرت إليه بخوف فأكمل ابتسامته المستفزة:**

- **الحقيقة في القصر يا وحيد.. هتعرف كُل حاجة هناك.**

**لتمر دقائق قليلة مرت عليَّ كسنوات، ولأنزل من الميكروباص ومعي الشبح اللعين حاتم، تمشينا قليلًا دون كلام، ودون أن أنظر إليه، خائفًا مرعوبًا مما سيحدث لي في الدقائق القادمة، ما الذي سأجده هُناك؟، لم تطل أسئلتي كثيرًا، عندما نظرت بعيني للناحية اليُمنى، وجدته.. قصر البارون!**

*  *  *

ودخلت بُخطى ثابتة إلى القصر، القصر المهجور الذي لا تنتهي القصص والأساطير عنه، فرأيت دماء مُبعثرة في كُل الاتجاهات، وهاهي عظام مُلقاة على الأرض.. أظن أنها عظام هِرة، رأيت الكثير ولكني لا أريد استكمال التفكير في ذلك الأمر، أنا أردت لأنهي المُهمة التي أتيت لأجلها، كان حاتم بجانبي، ينظر أمامه والابتسامة المستفزة لا تُفارق وجهه، وفجأة توقف هو أمام غُرفة من غُرف القصر:

- هِنا..

وقفت كما قال هو، وانتظرت طويلًا، أتأمل جُدران ذلك القصر الرائع، قصر مُهيب حقًا، من يدخله يشعر بأن الأدرينالين يتصبب بداخله كبحرٍ ليس له قاع، دخل حاتم إلى الغرفة دون أن أكون معه، وظل بالداخل لفترة طويلة، شعرت بأن الكثير من الساعات قد مرت في هذا المكان اللعين، ولكن عند التفكير.. خرج لي حاتم من الغرفة وهو يقول:

- إتفضل يا وحيد..

فدخلت بخطوات متبعثرة، خطوات غير ثابتة أبدًا، الخوف يحتضنني مثل أخيه، أغمضت عيني للحظات آهلًا بما سيحدث لي بالداخل.. ولكني رأيت سيدة!

سيدة تُعطي لي ظهرها، فتوقفت مكاني احترامًا وإجلالًا لها، فتكلمت قائلًا:

- خير يا فندم، عرفت إن حضرتك عاوزاني..

وأدارت ظهرها عني، لتتسع حدقتا عينيَّ، ولأطلق صرخة تهز القصر بأكمله، لا ليس بكابوس، لقد كان حقيقة، حقيقة مؤكدة!

لقد كانت هي..

أمي!!!

* * *

تيبست، وظل العرق يُطاردني من شتى الاتجاهات، والخوف يُحيطني ويغزو قلبي وعقلي، وأمي التي دهس الزمن على وجهها، وحجابها الذي تخرج منه شعيرات بيضاء، وجهها يدل على أكل الزمن لها، ولكني لا أفهم شيئًا، أرجو أن أغمض عيني وأفتحها فأجد نفسي في غرفتي وعلى سريري!، ولكنها بعد أن نظرت لي نظرات متتالية، وجدتها تتكلم:

- إزيك يا وحيد؟

احتد وجهي، ولازالت عيناي متسعتين عن آخرهما:

- أنا مش فاهم حاجة.. فهميني!!
- أقولك إيه ولا إيه يا ابني!، لو قلتلك من هنا للسنة اللي جاية.. مش هتفهم حاجة!

لا أقوى على الحديث!، فأخذت نفسًا عميقًا وتكلمت رغم تبعثر كلامي:

- أبويا.. دبحك.. وانا صغير.. إزاي تظهريلي دلوقت بعد ما دبحك، ولّا دي تهيؤات؟

سقط الكلام على وجهها كقنبلة انفجرت في مكان خاطئ، وجحظت عيناها هي الأخرى، وتكلمت:

- دبحني!!

شعرت بحرارتي تعلو كُلما تكلمت، والدوار بدأ يشتد، لم أتكلم أنا فاستطردت ومازال شعور الدهشة يسيطر عليها:

- وحيد إحكي لي اللي شوفته!

تكلمت بصعوبة بالغة:

- روحت المدرسة ومرضوش يدخلوني، رجعت البيت لقيت أبويا بيدبحك وانتي نايمة على السرير!

هُنا شعرت بصاعقة تجتاحها!، فتكلمَتْ:

- الحلم..

لم أفهم مغزى كلامها، فأردفَتْ:

- الحلم ياوحيد، أنا قبل ما اختفي بإسبوع.. كُنت انت بتكلمني وبتقولي انك حلمت حلم وحش!.. والحلم ده كان بيتكرر كُل يوم.. إنت كُنت بتجيلي، وانا أقولك تِف على دراعك الشمال وقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم تلات مرات.. فاكر يا وحيد.. فاكر؟

هُنا.. شعرت بضربة في رأسي، وكأن هُناك من ضربني بالخلف، صعقة هبطت لأجلي فقط، الدُنيا تلتف من حولي، عيناى تلتفان بشدة حول المكان، وأمي تنظر لي نظرة حُزن شديدة، وعيناها تذرفان دموعًا بالرغم منها، ولكني تكلمت رغم الألم:

- يعنى إيه؟، وابويا.. وابويا اللي أنا موّته؟ يعني ابويا مكنش له ذنب.. أبويا كان بريء وانتى اللي اختفيتى عنه!!. قتلت أبويا عشان قتلك.. وانتي تختفي عنِّي طول المدة دي!!

تكلمت رغم دموعها:

- غصب عني يا ابني.. كان لازم أبعد عنه وعن جحيمه، كان لازم أربي أختك في حياة وعيشة تانية..

رغم الدوار والصُداع والخوف، كررت الجملة بهيستريا:

- أبويا مكنش له ذنب، أبويا مكنش له ذنب...

لأقع على الأرض بعد جهدٍ قد بذلته للبقاء، ولتنزل الشريطة السوداء التى أوقفت عن عقلي التفكير!

* * *

صوت صنبور المياه أزعجني فاختطفني من غياهب النوم، قطرات المياه التي تسقط كُل يوم في نفس الوق...

مهلًا.. أين أنا؟، هذا سقف غرفتي.. على سريري!، من الذي أتى بي إلى هُنا؟، هل كُنت أحلم؟، كان حُلمًا كالذي رأيته من قبل؟، لكن لأ.. أنا متأكد أنه ليس حُلمًا، بل حقيقة مؤكدة، قُمت من مكاني بعد أن شعرت بألم خفيف في رأسي، ووضعت رأسي تحت صنبور مياه الحمَّام، كي أُنظف نفسي من قاذوراتي التي ملأتني، وقفت أتأمل نفسي في المرآة.. شعرت بأن هُناك شخصًا آخر يتحكم بي.. ليس هذا وحيد الذي أعرفه؟،

أين ذهب؟، أين ذهب وحيد الشخص المُطيع الخجول المحبوب؟، أشعر بأنه قد مات، مات ودُفِن حتى صار جسده عظامًا.. أين ذهبت يا وحيد؟، قتلت أباك الذي لم يفعل لك شيئًا سوى بعض الغضب منك، قتلته دون أن يقتل هو أمك؟، دون أن تفهم أيها الغبي!

كُل هذه الأشياء كانت تمر على خلدي وأنا أقف عاجزًا عن الرد، كُل ما حدث بُني على خطأ، خطأ جثيم سيظل يُطاردني حتى الموت.. جففت وجهي بالمنشفة، وذهبت لأتصل بسامح الذي نساني تمامًا، ونسيته!، فتحت الهاتف واتصلت به، صعد صوت السيدة التى تقول:"الهاتف المطلوب مُغلق أو غير مُتاح"، لا يُهم.. فُهناك أشياء هامة يجب أن أفعلها، شعرت بأن هُناك أشياء وُضعت في جيبي، لم تطل أسئلتي، وضعت يدي في جيبي وجدت ورقتين.. أخرجتهما وفتحت أول واحدة وُقعت في يدي.. مكتوبة بخط رديء جدًا وصُدمت من محتواها:

*"وحيد.. عارفة انك متعصب من اللي حصل بس أقسم بالله غصب عني، أنا مهما كان أمك يا ابني.. مستنياك تيجي بيتي وتشوف أختك مها.. هستناك يا وحيد، هستناك.. العنوان: (.....)"*

طويت الرسالة مرة أخرى، وفتحت الرسالة الثانية:

*" مش عارف حاجة عني، عندك فضول تعرف مين حاتم ده، لو عاوز تعرف بجد، هستناك بُكرة الساعة تمانية، قُدام باب شقتك!.. سلام"*

استنتاجي من الرسالة الأولى أن أمي فعليًا حية تُرزق، لم يقتلها أبي المسكين ولا شيء!

واستنتاجي من الرسالة الثانية.. هي أن حاتم يُريد قتلي!

ولكنى سأقابله، بعث لي الرسالة أمس، فمعناه أنه سيقابلني الليلة في الثامنة مساءً!!

* * *

- أنا عارف عنك كُل حاجة..

قالها حاتم بينما هو جالس على الكُرسي بداخل بيتي، فقُلت له بابتسامة:

- اللي يعرف يجيب أمي من مكان إبنها ميعرفوش.. أكيد يعرف عني كُل حاجة..
- أنا مابتكلمش على أمك.. أنا بتكلم عن حياتك..
- تمام.. قول اللي تعرفه!
- أعرف إنك قتلت أبوك.. أقصد دبحته!، وأعرف إنك دبحت حبيبتك اللي كان إسمها حبيبة عشان فكّرتها خانتك.. واعرف كمان عبير، المسكينة اللي انت موتها عشان طلبت منك الأمان.. مش هكدب لو قُلت إني أعرف عنك حاجات أكتر من نفسك..

ابتلعت ريقى عنوة، وبمقاومة تُذكر كي لا أُبين وجهي الذي غَرق في بحر من الخوف والدهشة، تكلمت معه بشدة وبابتسامة اخترقت وجهي:

- محصلش حاجة من دي..

فابتسم هو الآخر بابتسامة استفزازية!:

- لأ حصل، ده حتى الخنجر مليان دم!.. الخنجر اللي اشتريته مع صاحبك اللي اسمه سامح، واللي دبحت بيه حبيبة وعبير..

فتحت فمي في دهشة تكاد تقسمه، لم أفهم حاتم اللعين ولم أفهم كيف أتى بكُل أسراري، لم أستطع كتمان غيظي فتكلم هو قبل أن أتكلم:

- وحيد أنا مش جاي أهددك، ولا جاي أأذيك، أنا جاي أقولك على كُل حاجة إنت مش عارفها، بس إنت هتخليني أأقعد معاك.. معنديش حتة أقعد فيها..

- ليك عين؟

- ليا إتنين..

قُمت من مكاني، الغضب يملأ كياني ووجهي، بعصبية قُلت:

- إطلع بره..

وقام من مكانه بهدوء تام، هدوء وبداخله برود شديد، فتح الباب ووقف بالخارج.. قبل أن أغلق الباب، وجدته يتكلم:

- لسه مقابلتنا ما انتهتش..

وغمز بعينيه، فأغلقت الباب مُسرعًا، من هذا الشيطان ياربي!!، شيطان يعرف عني كُل شيء.. يعرف عنِّي أسراري.. هل قال له سامح؟؟، سامح الذي اختفى من حياتي كقطعة ثلج ذابت، لم تدم أسئلتي طويلًا.. انطلقت صوب اللاب توب، لأفتح الفيس بوك.. ولأقضي معرفتى بالفتيات..

لأشفي جوعي الذي كثيرًا انتظر!

* * *

وقفت أمام بيت عمي.. عم سيد!، انتظرت أن يخرج لي عماد من بيته بداخل المقابر، لأني لم أزُر البيت منذ زمنٍ طويلٍ جدًا، ظلام دامس يحيط المكان، تتجول عيناى يمينًا ويسارًا بلا مقاومة تُذكر، رفعت يدي اليُسري كي أرى كم الساعة، وجدتها ك تدق أبوابها على الثامنة والنصف.. فأدرت ظهري باحثًا عن أحدهم.. كانت المنطقة فارغة من البشر تمامًا، لا يوجد أحد هُنا على الإطلاق، كيف يحتمل عمي وابنه السكن هُنا وحدهما؟.. فوجدت أحدهما يُربت على كتفي، نظرت خلفي.. فوجدته عماد، ابتسمت له وقدمت يدي كي أسلم عليه، نظر إلى نظرة مُستفزة حقًا، فقُلت له:

- بُسرعة يا عماد بعد إذنك، عاوز أشوف عمي واتّكِل..

أومأ رأسه، فأخذني من يديّ إلى البيت، سرنا كثيرًا إلى أن شعرت بوخز في قدمي، قُلت له أن نستريح قليلًا، فقال لي:

- نَخيت كده ليه ياريّس، قوم فِز البيت قَرّب.

نظرت له نظرة جعلته يرجع بخطواته قليلًا إلى أن اصُطدمت عيناي بلوحة لونها أبيض، ليست لوحة بالضبط ولكنها رُخامة، كُتب عليها "مقابر عائلات كامل"، ابتسمت وقُلت لعماد أن يستريح هُنا قليلًا لأقرأ لعائلتي الفاتحة.. اقتربت كثيرًا من قبر عمي "ياسين" الذي مات مُنذ عامين، تقريبًا تلك هي أول مرة أأتي لزيارته.. فإنى أخشى المقابر كثيرًا، وقفت ورفعت كفي الأيمن والأيسر كي أدعو له بالفاتحة.. ولكن قبل أن أُكمل.. رأيت شخص ما يرتدي جلبابًا أبيض، يقترب منِّي وبيديه مسبحة، نظرت له نظرات عدة.. حتى جحظت عيناي رُعبًا وذهولًا، الرؤية لم

تتضح بعد، فقد كان بعيدًا حقًا، ولكنه كان يقترب منِّي بشدة.. خطواته كانت كبيرة جدًا، تلك اللحية.. وذلك الوجه!، لقد أدركت من هو.. لا لم يكن أبى، كان عمي.. عمي ياسين!

بإبتسامة وقف عند قبره، ولم يقترب بعدها.. فتكلم هو بنفس الإبتسامة:

- إزيك يا وحيد؟، عامل إيه يا ابني؟
- الحمد لله يا عمي.. إنت كويس؟
- مش مشكلة، أنا مرتاح مكاني.. أنا جاى أقول لك كلمتين، إنت تعبان يا ابني، مش تعبان بالزفت أنا ما أقصدش كده، أنا أقصد إنك تعبان نفسيًا، فيه حاجات بتشوفها محصلتش.. فيه شخصيات في حياتك مش موجودة.. إنت بتتعامل معاهم كُل يوم.. فيه حاجات بتتخيل إنها بتحصل.. بس هي ما بتحصلش.. وحيد أنا جاي أحذرك.. روح لدكتور يساعدك.. أو حتى شخص ينجدك من اللي إنت فيه، دلوقت هتقوم من الحلم اللي انت فيه.. حاول تصدقه.. مع السلامة يا ابني..

وللحظة، اختفى عمى بنفس الابتسامة التي لم تفارق شفتيه، واختفى العالم من حولي، لأغلق عينيَّ وأفتحهما، أجد نفسي في مكانٍ لا أعرفه، سقف غُرفة أول مرة أراه في حياتي، سقف قُرب على الانهيار، ولكن رغم كُل تلك الأسئلة، قُمت من مكاني، وجدتني أرتدي منامة لونها أزرق، تنهدت وطرقت باب الغرفة التي أنا بها عدة طرقات، حتى أتى صوت شخص عجوز من الخارج.. ففتحت الباب.. كان عمي، عم سيد يجلس قُرابة التلفاز، ولا يعطيني أي اهتمام، وجهه الذي لم يُفارق عقلي دومًا،

رغم كبره في السن وزيادة تجاعيد وجهه وعجزه، إلا أني لم أنسَ وجهه ولو للحظة!. كان عماد جالسًا قبالته، فقام تحية لي عندما رآني، وكأن عمي لم يرَني إلى الآن؟:

- إرتحت في النومة؟

ارتسمت على وجهي علامات الجهل وعدم الفهم:

- نومة إيه، إحنا مش كُنا ماشيين سوا إمبارح يا عماد؟؟، وبعدها وقفتك وقلتلك استنى عشان هقرأ الفاتحة على أهلي؟، حصل ولا لأ؟

- ياسطى حصل هدّي نفسك بس.. بعدها أخدتك وروحنا على البيت هنا، وفضلنا قاعدين واتكلمت مع الحاج كتير فشخ.. إحم، لامؤاخذة ياحاج.. وبعدها دخلت نمت!

نظرت إليه بفزع، أنا لا أتذكر شيئًا مما حدث بعدما رأيت عمي ياسين؟، هل فقدت الـ...:

- إيه يا حاتم مالك النهاردة؟

ماذا قُلت يا عمي؟، حاتم؟، من هو حاتم؟، أنا وحيد يا عمي؟ هل لتلك الدرجة تغير شكلي؟، هل لتلك الدرجة هو لم يتذكرني!!، ياله من مسكين، الزهايمر دمَّر عقله تمامًا، شعرت بالإشفاق عليه.. ولكن الغريب، أن عماد لم يُعقِّب على كلامه، بل تكلم هو الآخر:

- أيوة يا ابني مالك؟، أومال لو مكنتش خاطب بقى وليك مُزة تدلعك!

صُعق قلبي، وسرت رعشة بداخلي، فأتكلمت:

- خاطب؟، عماد بطل إشتغالة وحياة أبوك.. هو فيه إيه؟، أنا إسمي وحيد يا عماد!

ابتسم عماد إبتسامة ساخرة فتكلم:

- إيه يا ابني مالك؟، أعملك كوباية ينسون!

تكلمت بعصبية حتى على صوتي:

- أنا مابهزرش!!!!!!!!، أنا وحيـد.. إنت فاهم.. إسمي وحييييد!!

اقتربت منه بخطوات مسرعة ومريبة، حتى إنه ابتعد عنِّي خوفًا.. ما كان عليَّ إلا أن آخذ هاتفي من غرفة عمي.. الشخص الذي يمتلك لامبالاة كبيرة جدًا تصل إلى حد الاستفزاز، يا الله.. ما الذي حدث لكُل هذا، دخلت غُرفة عمي بسرعة واتصلت بهاتف عماد، سمعت صوته بالخارج فخرجت وأخذته.. لقد كان اسم هاتفي المُسجَّل على هاتفه "حاتم"!!!!، تنفست بصعوبة بالغة، وشعرت بوخز في عينيَّ اليُمنى، فركضت لاهثًا نحو مرآة الحمَّام، فتحت باب الحمَّام، ووقفت أمام المرآة بالضبط، لأتأمل قسمات وجهي.. ولحيتي التي كَبرت مثل حاتم بالضبط.. بل صرت أنا حاتم!.. صرت أنا الشيطان ذاته!!

* * *

# - 5 -

مرت الأيام وأنا لازلت في بيت عمي، لازالت الأسئلة تأكل عقلي بنهم.. فجلست بجانب "عماد" أطمع في أن أسأله، ظللت أقطع أظافري بفمي وهذا دلالة على التوتر الشديد، فعقلي كان يصرخ للمزيد من الأسئلة، ولكني لم أسأله.. طلبت منه طلب!:

- عماد ينفع توديني بيتي بعربيتك؟؟

نظر إليّ بعدما فهم كُل شيء:

- أكيد طبعًا يامريّسة إنت تؤمر.. بس خليك قاعد معانا شوية..
- أقعد معاكم أكتر من خمس تيام إيه يا عم.. يلا بس إنجز..
- خلاص يا عم يلا..

وقُمنا من مكاننا، وسرنا صوب باب الخروج من المقابر، كان الخوف والفزع ينتابانني، إلى أن شعرت بعدم فهم أي شيء، ما الذي حدث لكُل هذا يا الله؟، أنا لا أفهم أي شيء.. خرجنا من المقابر وجلست بجانب عِماد في سيارته النصف نقل، وانطلق إلى البيت، دقائق مَرت كدهر وأنا أتأمل وجوه المارة.. وأتأمل وجهي – وجه حاتم – في المرآة، وجهه الذي صار وجهي، بسبب هذا الوجه سأموت لأفهم!، وصلت إلى البيت،

فشكرت عماد الذي ظل يناديني بحاتم، صعدت على الدَرج بخطوات ثقيلة بطيئة، أتفقد كُل شيء في العمارة، أتمنى أن لا يكون ثمة شيء قد تغير هو الآخر، صعدت ووقفت أمام شقتي، وضعت يدي في جيبي وأخذت المفتاح، وضعته في الباب وفتحته، أخيرًا قد عُدت إلى البيت!، دخلت وأغلقت الباب، وللحظة شعرت بشخص ما هُنا!، شعرت بأنفاس أحد في بيتي!، لم يكن معي أي وسيلة للدفاع عن نفسي.. أهو سارق!، بدأت في التفكير بالموت!، هل سأموت الآن؟، هل سيقتلني ذاك السارق.. ولكني ما رأيته كان أعجب وأغرب من كُل شيء.. وجدت شخصًا مُلقى أرضًا، لا يوجد أحد قد ضربه ولا يوجد أي دماء حوله، كان على الأرض يعطي شكلًا مُرعبًا مثل ما أراه دائمًا في الأفلام، من أنت يا أحمق!!، يداه أمامه ووجهه قد افترش على الأرض، عدلته كي أرى من هو، فور أن عدلته، ابتعدت شاهقًا، فكي قد اقترب من الوصول إلى صدري، صدمة كادت أن تُلقيني أرضًا.. تنفست بصعوبة بالغة، وبدأت أهدئ من روعي.. اقتربت منه وجثيت على رُكبتي، لقد كان الشخص هو أنا!.. هو وحيد ذاته!!، بدأت أضربه كي يستيقظ ولكن بلا جدوى، ركلته بقدمي ويأبى أن يستيقظ، قد يكون مات!!، لكن في تلك اللحظة سمعت صوتًا من خلفي، صوت لم أميزه حقًا.. التفتت ببطء، كانت أنثى!، عرفتها منذ أن رأيتها للوهلة الأولى، كانت سحر جارتي وعينها قد أغرورقت بالدموع، تُرفع تجاهي مُسدسًا ما.. فقُمت من مكاني ببطءٍ وقُلت لها:

- إهدي.. إهدي يا سحر.

تنفست الصعداء، فاحتدت ملامحها وشعرت بأني فعلت شيئًا أزعجها، ليتها تفهمني!:

- إنت مين؟ إيه اللي جابك هنا..
- سحر.. أقسملك بالله أنا وحيد.. مش عارف إيه اللي حصل خلاني بالشكل ده.. ومش عارف مين اللي مرمي جنبي ده!، أرجوكي ساعديني إني أوصل للحقيقة..

ازدادت الدموع في عينيها في البُكاء رغمًا منها، فشعرت أن الشخص -الذي من المفترض أن يكون أنا- فعل شيئًا ما:

- ممكن تفهميني إيه اللي حصل؟

مسحت عينيها بيدها اليُسرى، ولازال المسدس في يديها ولم تنزله، أخذت تتنفس أكثر وأكثر، إلى أن أغلقت عينيها لمدة طويلة.. وأنزلت المسدس، قُمت من مكاني وذهبت إليها بحرص:

- متقلقيش، أنا معاكي ومش هسيبك إلا أما أعرف إيه اللي حصل، وأهوا.. هو مش هيعملك حاجة..

أومأت برأسها، وجلست على الكُرسي، ذهبت إلى المطبخ مسرعًا، ملأت كوب من الماء إليها، فسمعت صريخها ليقع الكوب وينكسر، ومع المفاجأة التي أنا بها، أسمع صوت طلقة رصاص تخرج من مسدس أحدهم لتصم الآذان!، ركضت لاهثًا نحو الخارج، لأرى وحيد يمسك بمسدس، وجُثة من كانت سحر مُلقاة على الأرض غارقة في دمائها.. ليبتسم ذلك الشيطان ابتسامة شيطانية ويتكلم:

- كِدَه.. نِعرف نتكلم بهدوء..

* * *

- غمَّض عينيك.

تعجبت من جُملته!، لِمَ أفعلها وأنا لم أفهم شيئًا منه حتى الآن؟

- أنا مش فاهم حاجة، إنت مين؟
- غمض عينيك وهتفهم كُل حاجة..

نظرت له نظرات غامضة، وأخذت أنفاسي تتابع، فأغمضت عيني بلا إرادة، سمعت صوته مُرددًا:

- إوعى تفتحها، سيبها مقفولة.. إسمع اللي هقولك عليه، في كل لحظة هتشوفني فيها، هخلي حياتك أسوء من أسوأ حاجة شُفتها في حياتك، قررت إنك تبقي شخص مُسالم، بس قتلت!،

قررت إنك تبقى شخص قاتل.. بس حبيت!، حياتك مش هتقدر توزنها لأنك إنت فاشل.. ضعيف، مابتحبش حد، أسرارك أكبر من أسرار أي حد في الدُنيا، خايف تقولها لأي حد.. قلقان إنك مش عارف تفتح عينيك، بتحاول ومش قادر، إطمن.. تقدر تفتحها دلوقت!

فتحت عينيَّ ببطءٍ شديد بعد أن سَمرتني كلماته، وجدتني رجعت إلى جسدي، أخيرًا عُدت!، وقد رأيته جالسًا أمامي كما كان، مُتملقًا ومستفزًا.. واضعًا قدميه على الطاولة التي أمامه:

- فهمني!.. أنا عاوز أفهم!، قتلت البنت الغلبانة دي ليه؟، وإيه اللي حصل نقلني من جسمي لجسمك؟

ابتسم!، فشعرت بخوف يجتاحني رغم ابتسامته:

- أنا ما قتلتش حد، إنت اللي قتلتها!.. المُسدس ده عليه بصماتك، ده غير إن الشخص اللي كان موجود من الصبح هو إنت، سواء بقى أنا كُنت جوا جسمك وإنت جوا جسمي، الشرطة مش هيفرق معاها الكلام ده، ولو فضلت من هنا لبُكره تحلفلهم.. ولا هيصدقوا..
- إنت عاوز مني إيه؟
- قلتلك قبل كده وهقولك تاني.. أنا مش عاوز منك حاجة، كُل كلمة هقولهالك تنفذها، دي أوامر!
- أوامر من مين؟
- مش لازم إنك تعرف..
- عرفت كُل أسراري منين؟

لازلت ابتسامته العاهرة متواجدة على فمه، نهض من مكانه ذاهبًا إلى باب الخروج، فنهضت خلفه، فنظر إليَّ بعدما فتح الباب:

- منك يا وحيد.. عرفتها منك!

خرج "حاتم" اللعين من الباب، وشعرت بأن هُناك شيطانًا عامرًا في البيت، شيطان يأبى الخروج من بيتي وجسدي، تركت أسئلتي كما هي، ونظرت إلى جُثة سحر!، نظرت طويلًا إليها!، فليعلم الله ما الذي فعله بكِ، ولكني سأنتقم لكِ يا سحر، أعلم أنكِ كُنتِ بداخل شقتك لا تخرجين منها، أعلم أنكِ كُنتِ مُسالمة لدرجة كبيرة، ولكن هذا قدرك!، أخذت أنفاسي ببطء، وقمت من مكاني، دخلت إلى غُرفتي التي طالما انتظرت أن أدخلها، شعرت برائحة شخص ما هُنا!، رائحة مُميزة أعرفها

جيدًا.. لقد عرفت رائحة من!، سأُنادي عليه، حتمًا سيسمعني، أعرف طرقه في الدخول إلى شقتي..

- ساااااامح..

لم يُجِب عليَّ!، خرجت إلى جميع الطُرقات، ناديت بصوت أعلى، لم يكن له أثرًا!، خرجت إلى الصالة، بدأت في النداء، وعندما نظرت إلى جثة سحر، وجدتها في مكانها لم تتحرك، ليس هذا ما لفت نظري.. الذي جعلني مُلقى على الأرض أنا الآخر.. هو أني وجدت جُثة سامح بجانبها!

* * *

ما إن نظرت إلى جُثة سامح، حتى انتابتني حالة غثيان، غثيان شديد جعلني أشعر بالدوار،تمسكت بالأريكة وأخبرت نفسي أنه لا وقت للتساؤلات، ما الذي جعلني متأكدًا أن سامح قد مات؟، وما الذي جعلني متأكدًا أكثر أن تلك هي جُثته!، ها هي الأخرى لعبة من ألعاب حاتم المتغطرس، ذهبت إليه وبدأت أضربه برفق على وجهه كي يستفيق، لكن لا فائدة، ضربته مرة أخرى، لا جدوى، لم يترك سامح لي حلًّا آخر، اعذرني يا صديق، ذهبت وملأت دلو ماء على آخره من المياه الباردة، وانطلقت إلى سامح بعدما أغرقني الدلو في مائه، وسكبت المياه على وجهه، فاستفاق!، ولكنه بعد أن استفاق قال أبشع السُباب الذي سمعته أذني في حياتي، فهدأته ورغم كل ما أنا به، ضحكت حتى اغرورقت عيناي بالدموع:

- بتضحك.. بتضحك يا ابن الـ... ناقصة هي!

توقفت عن الضحك عندما شعرت أن ثمة أمر ما يحدث هُنا وقد حدث له!:

- طيب إيه اللي حصل وإيه اللي جابك هنا؟
- يا ابني أنا معرفش إيه اللي جاب أمي هنا!
- إزاي يعني؟
- يعني انا صحيت لقيت نفسي عندك.. معرفش أصلًا أنا إيه اللي خلاني أجي هنا..
- هيكون مين يعني؟، عفريت!!
- والله مش بعيد يا وحيد..
- سامح أنا لازم أمشي من البيت ده..
- وماله ياخويا، بيت أخوك مفتوح في أي وقت.
- النهارده هروح معاك..
- خلاص يا عم يلا بينا، بس ماتطولش ها!

فضحك هو، ضحك وتركني محمَّلًا بالأسى الشديد.. ولكني ما أثار دهشي وتعجبي، هو أنه لم يلاحظ جُثة "سحر" الملقاة جانبه!

* * *

رقدت على سرير سامح المُقرف بجانبه، لم يكن لديه إخوة أو أب وأم، يعيش وحيدًا في شقة منعزلة عن العالم بأكمله، ما أجمل أن تعيش في عالم يعيش فيك!، وضعت يدي تحت رأسي ونمت على جانبي الأيمن، فرأيت صورة له وهو صغير.. صورة له هو وحده، ولكن من الواضح جدًا

أن الصورة قصها أحدهم من قبل، لأن هُناك يضع وُضعت على كتف سامح!، لا يهم.. وجه سامح الصغير ذلك لم يكن غريبًا عليّ وكأني رأيته من قبل، نعم نعم!، أكاد أجزم أني رأيته من قبل.. الصورة تتضح رويدًا رويدًا، نهضت من مكاني مُسرعًا.. وبدأت بالتذكر.. بدأت الأحداث تدخل إلى ذهني!

لقد كان سامح جاري!، جاري من سنوات عدة، تحديدًا عندما اختفت جُثة والدي!، وقتها خرجت من بيتي متوجهًا صوب مكان لا أتذكره.. ولكني فجأة رأيت شابًا في عمري تقريبًا، قد كان هو سامح، أتذكر حديثه معي كلمة كلمة:

- إزيك يا وحيد؟

وقتها شعرت بالتعجب لمعرفته اسمي!:

- الحمد لله، إنت مين؟
- أنا سامح جارك من زمان وعارفك كويس.. متأكد إنك مش فاكرني بس انا قلت أما أنزل.. باين عليك متضايق؟
- متضايق أوي يا سامح والله..

أتذكر ابتسامته التي جعلتني مطمئنًا لفترة، وكلماته التي حُفرت بداخلي:

- إذا ضاقت بكم الصدور إذهبوا إلى القبور يا عم وحيد..
- مش فاهمك؟
- هتفهمني.. سلام..

ونزل إلى أسفل بعدما قال كلماته، كلماته الذي لم أفهم معناها وقتها، ولكني فهمته بعد أن عملت بنصيحته؛ ذهبت إلى القبور!، مقابر الصدقة التي يعيش بها عمي سيد، وبنه عماد..

أمسكت الصورة الخاصة بسامح، وحاولت رؤيتها جيدًا، من هذا الرجل الذي يمسك كتفه؟، من الواضح أنه أبيه!، ولكن أين اختفى هو الآخر، أنا لم أرَ لسامح فردًا من عائلته حتى الآن، أنا لا أعرف شيئًا عن سامح أبدًا، شعرت بالظمأ، فذهبت كي أروي عطشي ذاك، وقفت بداخل المطبخ وفتحت الثلاجة، أخرجت زجاجة مياه مُثلجة وبدأت بالشُرب، امتلأت معدتي وهدأت، فذهبت مرة أخرى إلى السرير، مددت عليه حتى أرخيت عيني وثبتت، لتنطلق في ملكوت الأحلام!

لم أكذِّب خبرًا، فشعرت وقتها أني لا أحلم، الحلم هذا شيء عجيب، وقته لا يتعدى السبع ثواني، رغم هذا تعيش به كثيرًا وتشعر بل تقسم أنك كُنت به لمدة تخطت الساعة، عندما رأيت ما أنا به الآن، ولا أعرف كيف دخلت إلى هُنا، وجدت نفسي في مُنتصف الحُلم، كُنت أجلس بمشفى، مُمددًا على سرير، والطبيبة تقف أمامي، يالوجهها الملائكي، لقد رأيت تلك الطبيبة من قبل، لقد كانت هي الطبيبة التي عالجتني يوم أن ضربني روح والدي!، أتذكر وجهها جيدًا!، ولكنها كانت تتكلم بطريقة عجيبة:

- إنت كويس النهاردة يا حبيبي؟

لم أتعجب، لأني أعرف أني بحُلم وسيذهب كما جاء:

- أيوة.. أنا كويس..
- شِد حيلك عشان ميعاد خطوبتنا قرب.. عاوزاك تبقى صاغ سليم..

- متقلقيش.. إن شاء الله خير..

وفي لحظة تغيَّر المشهد!، تغيَّر ورأيت نفسي في مكان آخر، أظن أنه بيتي!، كُنت أقف وبيدي مطرقة، أبي المقتول متواجد أمامي وغارق في دمائه، كُنت أحفر في غرفته كي أدفنه!، هُنا عرفت أين اختفت جُثة أبي!، من الواضح أني فقدت ذاكرتي، لأنها جعلتني أنسى كُل هذا.. بدأت في التفكير بداخل الحُلم، لقد كُنت أبتسم وأنا أحفر.. أبتسم ابتسامة شيطانية لم أرَ مثلها قَط!

إلى أن رأيت نفسي في وضعٍ آخر!، وهو مشهد لم أصدقه أبدًا.. لقد فُزعت عندما رأيته.. وهو أني أجلس أمام طبيبة نفسية وأحكي لها ما يحدث لي الآن؟، لم يحدث هذا قَط!، إذًا فهذا مُجرد حُلم، من الممكن أن يكون صحيحًا.. ومن الممكن أن يصير تهيؤات، الغريب في كُل هذا، أن هذا لم يكن حُلمًا.. بل كان حقيقة.. حقيقة وحدثت كُلها معي!!

ولكن الأغرب، أني لا أتذكر منها أي شيء!!

لأستيقظ!، ولا أعرف ما الذي أيقظني الآن!، سطعت الشمس، لم أشعر لوهلة أني قد نمت، بل كُنت بداخل حقيقة مُفسرة على هيئتي ابتلعت ريقي عنوة.. وتصاعدت أنفاسي عندما تذكرت تلك الشقة التي أنا بها الآن.. لقد كانت شقة والدي القديمة!، شقة أنا عشت بها منذ زمنٍ قديمٍ.. كُل شيء في ذلك البيت قديم، الأريكة.. السرير المُقرف، الثلاجة التي قُربت على الهلاك، التلفاز الذي أشعر أنه هُنا منذ عشرين عامًا مضوا، ما معنى هذا؟، ناديت على سامح بصوت عالٍ.. لم أجد إجابة!، ناديت مرة أخرى واستوقفني شيء مرت عيناي من أمامه، لقد كان كفي،

وقد مُحيت الرسمة القديمة، وتبدلت برسمة أخرى.. رسمة جعلتني أرتعد بشدة، لأني فهمت مغزاها بسرعة شديدة، لقد كُنت أنا، واقفًا خلف أمي، واضعًا سكينًا على رقبتها!!، رأيت جميع الأسماء الموجودة فوق الأشخاص، كانوا ثلاثة، أنا وأمي و... سامح!، سامح يقف مبتعدًا، ولكن يديه تأخذ وضع التصفيق!، نهضت من مكاني مُسرعًا، وذهبت كي أرتدي ملابسي وأذهب إلى بيتي، لقد كان الجحيم ينتظرني هُنا أكثر من بيتي..!

* * *

نهضت الدكتورة سماح من مكانها، فشعرت بأن الحكاية لم تُخيل عليها، ولكني أقسم بأن كُل ما حكيته لها كان صحيحًا!، اهتزت شفتاها وتكلمت أخيرًا!:

- الحكاية خلصت على كده؟
- لا يا دُكتور.. لِسَه..
- إنت مصدق اللي انت بتشوفه يا وحيد؟
- إزاي يعنى يا دُكتور مش فاهمك؟!

بدأت الطبيبة في الابتسام، حينما ابتسمت بدأت المعلومات تتسرب إلى عقلي رويدًا رويدًا!:

- تقصدي تقولي اني مجنون!!

* * *

شعرت بخوف عندما دخلت إلى بيتي، بيتي اللعين!، بيتي الذي كُلما مشيت خطوة فيه تراجعت عنها مُتذكرًا أحداثًا لم أود تذكرها ولن.. بدأت في التفكير عن أشياء كثيرة، ما الذي حدث في بيت سامح؟، وما الذي جعله يمشي من البيت ليلًا!، وما الذي جعلني أحلم بأحداث لم تحدث لي وحدثت لشخص غيري!، لم يظل ذلك الموضوع داخل رأسي كثيرًا، لأني فكرت في موضوع ىخر؛ موضوع أمي!، أمي التى نسيتها تمامًا ونسيت أمرها، نسيت أنها خدعتني طوال العشرين عامًا الماضيين، نسيت انتقامي منها!، في نفس اللحظة التي تذكرت فيها ذلك الموضوع، سمعت صوت طرق على الباب، ناديت بصوت عالٍ "مين؟"، لم يجبني أحد.. اقتربت من الباب أكثر وسألت، أيضًا لم تصلني إجابة، رأيت من العين السحرية، وجدته حاتم!!، ينظر إليّ بابتسامة وكأنه يعلم أني سأراه من العين السحرية، أخذت نفسًا عميقًا وفتحت له الباب، دخل دون استئذان وجلس على الأريكة، فأغلقت الباب وأضأت الأنوار كُلها، وذهبت إليه، جلست قبالته وتكلمت:

- إيه اللي جابك هنا يا حاتم؟

وضع قدمًا على قدمٍ واستند بوجهه على يده، وتكلم:

- مش عارف، لقيت نفسي فاضي قلت أجيلك..
- هو انا كُنت من بقية أهلك؟
- عادي يا وحيد مفيهاش حاجة يعني.. نتكلم في المُهم؟
- ياريت!
- فاكر شقة سحر الله يرحمها!

ابتسمت بشماته:

- تقتل القتيل وتدعي عليه بالرحمة!، إنت فيه حاجة في مُخك؟
- هتخش الشقة.. وهتلاقي مُفاجأة مستنياك جوا، مُفاجأة من العيار التقيل يعني مش هزار..

وتنهد قائمًا من مكانه، فقُمت وراءه، وضع يده في جيبه وأعطاني مفتاحًا.. وقال لي بغرورٍ:

- ده مفتاح الشقة، ولو بتحب تنط خير وبركه.. بس أهوا، خليه معاك احتياطي..

ووضعه في جيبي، ربت على كتفي فكدت أهشِّم وجهه غيظًا!، توجه إلى الباب ونزل، فوقفت أنا أمام شقة سحر – رحمها الله -، وبدأت أخفض الأضواء قليلًا؛ استعدادًا للمواجهة مع شيء لا أعرفه.. وبخطوات ثاقبة مُترقبة، اتجهت خارج باب شقتي، ووضعت يدي في جيبي لأخرج المفتاح، ففتحت باب شقتها! ، ولكني للحظة تراجعت ودخلت شقتي لا أعرف لماذا! ولكني الآن عرفت لِمَ!

لأن أبي ينتظرنى بداخل شقتي!!.. نعم، نظرت إلى شقتي مرة أخرى، ورغم الأضواء الخافتة وجدته جالسًا على الأريكة التي أجلس أنا عليها، نظر إلى الباب عدة نظرات متتالية، فأخذت أنفاسي تتصاعد، ووجدته يتجه ناحية باب الشقة، اتكأ على عصاه، وبدأ يسير، خرج من شقتي ودخل شقة سحر، لقد كبر وجهه كثيرًا عن آخر مرة رأيته بها!، لِمَ أشعر بأن ما أراه الآن هو حقيقة!.. لِمَ أشعر دائمًا بذلك!!.خوفي مما أنا به جعلني أرتعد، فدخلت وراء أبي، دخلت وأنا مُستعد لأي شيء سيحدث لي..

أضأت أضواء شقة سحر، وأغلقت أبوابها بإحكام، لأجد أبي يدخل إحدى الغُرف فأدخل خلفه، أدخل وأنا مُتأكد جدًّا، أن تلك الشقة قد رأيتها سابقًا رغم أني لم أدخلها ولا مرة في حياتي، دخلت الغرفة التي دخل فيها والدي ولكني لم أجده، بل وجدت ظلامًا دامسًا فقط!، تحسست الجدار بحثًا مولد النيون هُنا، فوجدته.. لتضيء الأضواء.. ولأرى ما لا تتحمل عيناي رؤيته أبدًا، لقد وجدت سحر تصرخ بشدة وهي على سريرها لأنها رأتني، ولتتسع عيناي بطريقة مريبة، وشعرت أن فكي وصل إلى صدري! ولكنها أخرجت حشرجة منها فتكلمت بصعوبة بالغة:

- إنت دخلت هِنا إزاااااااااااى؟

فيرتفع صُراخها أكثر وأكثر!، هُنا.. فهمت لُعبة حاتم القذرة، وبدأ ذاك السؤال يلتف حول رأسي، لِمَ لم أسأل نفسي أين ذهبت جُثتها عندما ذهبت لبيتي ولم أجدها في مكانها؟، السؤال الأكثر رعبًا: ما الذي جعل أبي يظهر لي اليوم؟!، بعدها بدأت الحديث مع سحر بهدوء:

- إهدي يا سحر.. إهدي!!

بدأت في الهدوء تباعًا، فشعرت بأن دقات قلبها تتزايد، لقد كانت ستموت رعبًا!، تخيل أنك استيقظت من نومك لتجد شخصًا يقف أمامك!!، بدأتْ في الاستيعاب فتكلَّمَتْ:

- أستاذ وحيد، إنت إيه اللي جابك هنا؟
- أنا ما أعرفش إيه اللي جابني هنا والله، سحر أنا محتاج إجابتك في حاجات كتيرة..

فأومأت برأسها، أمسكت بالغطاء الخاص بسريرها، لتواري قدميها وشعرها العاري، ففهمت ما أمرتني به وخرجت كي ترتدي ملابسها وحجابها، أنا لم أفكر بجسدها العاري الآن!، هي تظنني رجلًا أعبد الشهوة كالكثير، نعم أنا كذلك ولكني أتبع شهوة القتل وليس شهوة الجنس!، خرجت إلى الصالة وتذكرت باب شقتي الذي لم أغلقه، وأيضًا باب شقة سحر، اتجهت نحو باب شقة سحر لأغلقه ففعلت لأجدها جالسة على الأريكة وهي ترتدي الحجاب ومنامة طويلة، فتكلمت وبداخلها خوف شعرت به:

- أستاذ وحيد، إنت إزاي دخلت شقتي.. وليه دخلتها؟

تنحنحت وتكلمت بخوف:

- صدقيني يا سحر، أنا معرفش ليه دخلت هنا.. ومعرفش إنتي إزاي.. بقيتي عايشة!

ابتلعت ريقها عنوة، وتكلمت هي الأخرى بخوف:

- يعني إيه يا أستاذ وحيد، مش فاهمة؟
- مش مهم تفهميني.. أهم شيء إني دخلت الشقة دي غصب عني، وأقسم بالله ما كان قصدى أعمل أي حاجة..

ابتسمت، وأومأت برأسها دلالة على الفهم، قُمت من مكاني بعدما شعرت بنعاسها، كيف مر ذلك الموضوع دون أن تتصل بالشرطة أو تستنجد بأي أحد؟، لا يُهم، فلتحمد الله أيها الأبله.. تنفست أخيرًا بحُرية، وخرجت من شقتها، وضعت قدمي خارج الشقة فوجدت هِرة صغيرة تقف أمام باب شقتي، لونها أبيض، تنظر إلى بفزع، ما كان عليَّ إلا الركض حولها،

ولكنها سرعان ما دخلت شقتي التي نسيت غلقها، قبل أن أهرول ناحيتها، وجدت سحر تقف خلفي وتقول:

- أستاذ وحيد.. أتمنى تكون بخير..

شعرت بالإشفاق على نفسي!، وصُعقت من جملتها "أتمنى تكون بخير!"، ما معناها؟، أخذت أنفاسي ببطء شديد، وأومأت برأسي بابتسامة كادت تخذليى، أنا لست بخير.. أنا أعرف نفسي جيدًا.. فأنا لست بخير.. أبدًا، ذهبت إلى شقتي، وأغلقت الباب ومن ثم جلست على الكُرسى الخاص بي، وبدأت التأمل، بدأت أتذكر كُل شيء، أتذكر حينما قال أبي لأمي "وحيد غبي.. إنتي فاهمة يعني إيه؟، يعني إبنك لازم يطلع من المدرسة، إبنك مش عارف يجمع الأرقام، مش عارف واحد زائد واحد بيساوي كام؟"، كانت هي الأم.. كانت الحنية بداخلها، كان الحب يعيش بداخلها كشجرة تتمسك بجذورها، وكان كُرهها لأبي يتزايد كُلما تكلم معي بطريقة سيئة، وكُلما ضربني على وجهي أو ضربني بالعصا على قدمي، كانت تحضنني.. وتجعلني أبكي في أحضانها، تُرى ما الذي تغيَّر.. لِمَ أشعر بأني مُختل عقليًا دائمًا؟، لِمَ أشعر بأن هُناك أشخاصًا لا يوجد لهم وجود في حياتي!، لِمَ دائمًا أشعر بذلك؟، تنهدت وقُمت من مكاني باحثًا عن شيء، وسمعت صوت الهرة التي نسيتها تموء!، تموء مواءً شديدًا وكأن هُناك شخصًا يغتصبها بالداخل!، هرولت إليها مُسرعًا، وسُرعان ما هدأ المواء عندما حضرت لها!، دخلت غُرفتي التي كانت فيها الهرة.. لأجد ما لم تتوقعه عيناي أبدًا..

لقد قُتلت الهِرة، والدماء تتجمع حولها بغزارة!!

* * *

عصير الكتب

# الجُزء الثاني

## "المختل"

عصير الكتب

لأقرر الانتحار!، دخل هذا القرار عقلي من أوسع أبوابه لسبب لا أعلمه، لقد كانت الحياة قاسية عليّ من كل اتجاه، لم أفهم لِمَ وكأني أنفِّذ شيئًا طُلب منّي من شخصٌ ما.. لم أشعر بشيء إلا وأنا واقف على سور السطح، أقف وأنا مُغمض العينين، وسواد السماء ينظر إليّ بلا خجل، أنفاسي تتصاعد كُلما تذكرت أني أقف في الدور الرابع وإذا وقعت منه، فلا محالة من الموت!، أغمضت عيني.. وبدأت في التقدم من خطوة واحدة حتى صارت قدم مستندة على الهواء.. وقدم أخرى أستند عليها بكامل جسدي، ولكني أرجعتها للخلف مسرعًا، وشعرت أن الانتحار ليس حلًا للنجاة من المشكلة، هُناك الكثيرون ينتظرون لحظة الموت.. أما أنا فأنتظر لحظة الانتحار.. أنتظر لحظة إنهاء حياتي بقفزة تجعلني ميتًا على الفور، قفزة تُنهي حياتي وقصتي إلى الأبد، سأعيش في عذاب مؤبد إن لم أنهِ حياتي الآن، الهواء يصفعني على وجهي كُلما زاد التفكير، وكُلما شعرت بأن لا محالة من الهروب من قدر كُتب قبل أن أعيش.. ولا محالة من العيش في جحيم طالما هُناك جنة تنتظرني وتنتظر المؤمنين، فأشعر بأني قذر للغاية، قذر لأني أنهيت حياة أشخاص لم يكن لهم أي ذنب إلا أنهم خانوني، حياة أبي أنهيتها بسبب حلم، وحياة حبيبة أنهيتها لخيانتها لي، وحياة عبير أنهيتها بلا سبب.. وحياتي أنا، سأنهيها لأني أنهيت حياة أناس آخرين..

كُل لحظة تمر منك، وكُل ثانية مرت عليك، لن يدفع ثمنها إلا أنت، نزلت من السور، دون أن أنتحر، وأنا أشعر بأن عندي الاستعداد الكامل أن أكون شخصًا رائعًا!، شخصًا مثاليًا.. شخصًا يصل إلى السلام النفسي.. لِمَ لا!، لعله صحيحٌ مختبئ، نزلت إلى بيتي، بعد أن هَز التفكير بالانتحار

أركاني، ذهبت إلى "اللاب توب" الخاص بي وفتحته، وشعرت بنهمٍ خاص تجاه الكتابة، رغم أني لم أقرأ كثيرًا، ولكني أود أن أكتب.. أي شيء!.. فتحت برنامج "Word" وكتبت قصة قصيرة، لم أعرف أن بداخلي الكثير من الشجن والرومانسية لأكتبها في أوراقي، لقد كتبت قصة رائعة حقًا!.. رغم انهيار اللغة ولكني حاولت قدر الإمكان أن تُصبح رائعة.. وفجأة سمعت صوتًا، صوت شخص يأتي من خلف الجدار، يأتي بالضبط من غرفة أبي مرة أخرى، تنهدت وكأني تعودت على ذلك وتعودت على صوته، قُمت من مكاني بشعور من الخوف والتعب والاعتياد.. سمعت صوتَ سعالٍ شديدًا من الداخل، فبدأ شعور الخوف يزداد!، اقتربت بخطوات جبانة، وفتحت الباب ببطء، رأيت الأضواء مُضاءة، والأرضية يفترش فوقها فِراش، ابتلعت ريقى عنوة، واشتد خوفي عندما رأيت أبي مُمددًا على السرير ويسعل بشدة، وقد دهس الزمن على وجهه كما فعل مع أمي!، ما يحدث حاليًا هو حقيقة!، لا يوجد ما يدل على أنه من وحي الخيال!، فجأة رأيت أبي ينظر لي، يتكلم بحشرجة وبصعوبة شديدة:

- أقعد.. أقعد ياسامح..

رغم معرفتي بأنه يُخرف ويهزي، جلست:

- عارف إنك تعبان، وعارف إنك مش هتصدق كلمة من اللي بقولها دلوقت، إنت لازم تروح لدكتور نفساني، لازم يشوفك ويقولك إنك مش مريض زي ما انا متوقع، يا ابني متخليش الوهم يعيش فيك، ولا انت تعيش في الوهم، خليك انت الحقيقة، عشان تعرف تعيش..

وأخذ بالابتسامة، وفجأة اعتدل في نومته ثم ظل يحملق في السقف، حتى ثبتت عيناه دون أي تحرك من مكانها، ووقف قلبه عن الخفقان، تنفست بشدة، وعَرفت أنا ما رأيته كان مُجرد تهيؤات عكس ما توقعت، كلامه كان يدل على أنه يعيش في عالمي.. بل هو يخترق عالمي، هو مُجرد روح بلا واقع، وموت بلا نهاية، أخذت أنفاسي بعمق، وخرجت من الغرفة الملعونة.. لأقرر الانتقام.. سأنتقم مِن من تُسمى بأمي.. لأنها لم تكن أمي التى طالما انتظرت أن تأتي، لم تسأل عني مرة واحدة منذ أن رأيتها، تذكرت أين تركت عنوانها، لقد كانت الورقة ملقاة في غرفتي، ركضت نحو غُرفتي، وبدأت بالبحث في كُل منطقة، أخذت جميع الأوراق المُعلقة على الحائط، لم تكن هُناك، بحثت في الدولاب عنها، لم أجدها، وبحثت في الدُرج.. وجدتها!

أخذت الورقة، وبدأت أتلو العنوان.. رائع لقد عرفته، هيًا بنا لنستكمل مشوارنا في القتل، ولكن في تلك المرة كيف سأقتلها، من الصعب جدًا أن أدخل إلى الشقة وأذبحها..

ولكني نسيت أمر أختيالصغيرة التي بداخل الشقة معها!، ولا أعلم كيف أستدرج أمي وحدها، بالتأكيد هي لن تنسى ابنتها وحدها في شقتها!، تأفأفت بشيء من الغل، وتنفست بصعوبة بالغة.. وفجأة ومن حيث لا أدري..

وصل لي الحل!

* * *

"أيوة يا معلم.. عامل إيه أخبارك؟، زي الفل الحمد لله، كُنت عاوز منك خدمة.. عاوز موتوسيكل ضروري، أه عارف إنت موتوسيكلات الدليفري دي، عاوز واحد وملزوق عليه أي صورة لمحل مطعم أو أي حاجة.. هديك الحلاوة متقلقش، صباحوا يا معلم"

من الممكن أن يكون قد وصل لك حلِّي، إن لم تفهمه سأقصه عليك في وقت قريب، قريب جدًا، حينما يأتي ذلك الـ"موتوسيكل" ستفهم كُل شيء، أخذت أنفاسي براحة شديدة، وسمعت صوت طرق على الباب.. ذهبت بخطوات متثاقلة لأفتحه.. ووجدته، كان حاتم!، أغمضت عيني في نفاذ صبر، ورأيته ببطء شديد من أسفل لأعلى، يرتدي حذاء أسود اللون جلدي، وبنطلون لونه أسمر كي يليق على الحذاء، وساعة نوعها Balmain فخمة فضية، كرافتة لونها أزرق تليق بالبدلة رغم اختلافها التام في لونها، وجهه شعرت بأنه ليس بغريبٍ عليّ وكأني رأيته منذ زمن، عينه التي بداخلها شر دفين، ولحيته التي تدل على عدم الاهتمام بوجهه تمامًا، ولكن شعره يدل على عكس ذلك، لقد كانت بعض الشعيرات تعثرت وتشاجرت مع الشعيرات الأخرى فخرجت بحرية إلى جبينه، خرجت كلمات منه بحشرجة تدل على الغضب:

- مش هخش، ولا هتفضل لاطعني على الباب؟!

تكلمت ببعض الشجاعة المُتدعية:

- إتفضـ..

ووجدت سامح!، يقف بجانبه وقطرات العرق تلهث على جبينه، تكلم بإرهاق وتعب:

- صباح الفل يا رجالة، أنا جيت في وقت مش مناسب ولا إيه؟

ابتلعت ريقي خائفًا، فتكلمت:

- لا يا معلم.. إنت تيجي في أي وقت، إتفضلوا إنتوا الإتنين..

فدخلا إلى الشقة وأغلقت الباب وراءهما، جلسنا جميعنا في قبالة بعضنا، فبدأت ابتسامة حاتم تظهر، وسامح يجلس في توتر بيِّن، قررت أن أتجاهل كُل شيء وأتكلم:

- إيه أخباركوا يا رجالة.. أه نسيت أعرفكم ببعض، حاتم.. سامح..

فتكلم حاتم موجهًا كلامه إلى سامح:

- أستاذ سامح غني عن التعريف.. أهلًا بيك يا سامح...

نسى كُل شيء عن الترحيب، وبدت ملامحه تزداد توترًا:

- إنت عارفني منين؟
- مش مهم..

ورجع بظهره إلى الكُرسي ليستند عليه فيستطرد:

- المهم إني عارفك، عارفكم إنتم الإتنين أكتر من نفسي..

فاكتملت الابتسامة على وجهه كأسدٍ فَرِحٍ عندما أكل ضحيته:

- المُهم، أنا جايلك النهارده إنت يا وحيد، جايلك عشان أقولك، إن أمك قاعدة ومستنية حد يجيب أجلها، أمك لازم تموت يا وحيد..

إنت نسيت هي عملت فيك إيه ولا إيه؟، نسيت إنها كانت السبب الأول والأخير في إنك تقتل أبوك!

اشتدت ملامح سامح أكثر وتكلم موجهًا كلامه لي:

- إنت قلتله على سرك؟

تكلم حاتم بإصرار:

- يا سامح أنا قلتلك.. أنا عارف عنكم حاجات إنتم متعرفوهاش!
- ما هو ده واضح.. بس هو مش هيقتل أمه يا أستاذ حاتم، أنا همنعه بكُل الطُرق، أمه مشيت من البيت لما لقت أبوه بيعذبها وبيعذبك، مستحملتش.. الله أعلم هي كانت بتعاني من إيه وانت أصلًا ماتعرفش حاجة.. لأنك نايم في العسل.. إنت لو قتلتها، أنا مش هبقى عارفك، هاحس إن صاحبي عِشرة ست سنين مات!

لم أشعر بأن كلمات سامح صادقة، بل شعرت بأن كلمات حاتم هي الأصدق والأصح، وفجأة نظرا إلى عيني، شخص تحمل عيناه الشر، والآخر تحمل عيناه الحُزن.. شخص تحمل كلماته الصدق.. وشخص تحمل كلماته الحُب، شخص تحمل كلماته الشر، وشخص تحمل كلماته الخير.. نظر حاتم إليّ نظرة خبيثة جعلت قلبي يخفق بسرعة، ونظرت إلى سامح الذي وجدته يجلس ينظر إليَّ نظرات تحمل الشفقة بأسمى معانيها.. يا الله من أصدِّق، فقمت من مكاني متنهدًا، وجلست على الأرض لسبب لا أعرفه.. قاما الاثنان من مكانهما.. فجثا حاتم على رُكبتيه وبدأ يهمس بأذني، أما سامح كان يقف بعيدًا عني بخطوات قليلة.. وتحدَّث، لم أسمع أحدًا منهما، لم أفهم شيئًا مما قالاه، لأنني فهَمت شيئًا جعل

الرعشة تسري بداخلي مرة أخرى.. لقد فهمت شيئًا كان يجب عليّ فهمه منذ زمن.. لقد فهمت مغزى الرسمة الأولى!!

* * *

*رأيت كفي الأيمن بعد أن جذبني شيء بداخلها، هدأت قليلًا ورأيت تلك الرسمة، لقد كانت رسمة صغيرة مرسومة بقلم جاف أزرق، يقف رجل في الناحية اليُمنى من كفي واضعًا يده على رأسه، ورجل آخر جالسًا في منتصف كفي يستند على يديه فاردًا قدميه، أما الثالث كان واقفًا، ولكنه قريب من أذن الشخص الجالس وكأنه يهمس بها.. رسمة مُريبة جعلتني أرتعد عندما وجدت أسامي مكتوبة فوق كُل شخص، الشخص الأول الذي كان يقف في الناحية اليُمنى مكتوب فوقه (سامح) والجالس في المُنتصف مكتوب فوقه (وحيد)، أما الشخص الأخير فمكتوب فوقه (حاتم).*

* * *

رغم عدم التطابق الكافي، لكني فهمتها، فهمت كُل شيء بها، فهمت ما الذي يجعل تلك الرسومات حقيقة، مثل رسمة قصر البارون التي عرفت بسببها أن أمي لم تمت!، وتلك الرسمة!، بالتأكيد سيكون هُناك رسومات أخريات، يجب عليَّ أن أكون حذرًا من كُل شيء سأفعله، فتلك الرسومات تجعلني أنفِّذها رغمًا عني!، ولكني للحظة، شككت في كفي.. ففردته.. لأجد رسمة أخرى!!!

لم تكن رسمة بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكنها كانت خطوط أفقية ورأسية كُتب بداخلها حروف، الصف الأول كُتب فيه "س- أ- م – ح" والصف الثاني كُتب به "ح-أ-ت-م"، والصف الثالث كُتب به "و-ح-ي-د"، وفي النهاية هُناك خط رفيع، وتحته نقاط.. وعلامة استفهام!!

بدأت بالتفهم.. اسمي واسم حاتم وسامح مكتوبان بداخل ذلك الجدول، رفعت كفي لحاتم وسامح وأردفت:

- يعني إيه الكلام ده؟

ابتلع سامح ريقه، وتكلم الاثنان وقيلًا في نفس الوقت:

- مش فاهم!

ومن علامات وجهيهما أستطيع القول بأنهما لا يعرفان شيئًا، ولكني أشعر بالشك تجاه حاتم!، يجب عليّ أن أخيفه قليلًا!، قُمت من مكاني وأمسكت من ياقة قميصه وهرولت به حتى احتضن ظهره الجدار وأنا لازلت أمسكه ياقة قميصه، لم أشعر بالخوف، ولكن ابتسامته التي لم تتنحَ جانبًا هي ما أرعبتني!، قُلت له في لهجة شديدة الشجاعة:

- إنت مين؟، انا عاوز أفهم.. إنت ميييييين؟

لم يرد، فما كان عليّ إلا أن أضربه على وجهه بعدما أجمدت يدي فانحنى هو برأسه وتبعثر شعره بسبب قوة الضربة، أخذت أنفاسي وظلَّ هو مبتسمًا!، تركته وذهبت لمنتصف الصالة، وقُلت:

- محدش فيكم هيمشي من بيتي إلا أما أعرف إيه اللي هيحصل.. إنتم فاهمين؟

أومأ سامح وحاتم برأسيهما، فسمعت صوت الهاتف يرن من "باسم"، لقد كان هذا من أتى بالموتوسيكل، نظرت من الشباك وجدت الموتوسيكل وباسم يَركب فوقه.. أخذت مفاتيح الشقة وأغلقت الباب خلفي، نزلت له وجدت ابتسامته أيضًا:

- إزيك يا باسم، البتاع ده تمام؟
- تمام يا كبير ماتقلقش..أهم حاجة بتعرف تسوق؟
- لأ ما انت هتاخدني وراك، ده هو مشوار صَد رَد..
- زي الفل..

وضعت يدي في جيبي وأخرجت خمسين جنيهًا، أعطيتها له فقال لي:

- إنت بتعمل إيه؟ وحياة النبي ما يحصل.. إنت بتهرج ولا إيه؟
- يا عم أنا هاخد منك الفسبة!
- هيحصل بس احنا متفقين على فلوس لما تكون انت واخد الموتوسيكل وبتعمل بيه اللي انت عاوزه، لكن دلوقت أنا هسوق بيك.. يعني مش هاخد منك ولا مليم!
- ربنا يخليك يا معلم تسلم.. أنا هطلع أجيب الأكل وأجيلك.

فصعدت فورًا، وجدت أحدهم بداخل الحمَّام.. والآخر بداخل غُرفتي، يعبثان بها وكأنها شقتهما، دخلت إلى المطبخ.. وأخذت الأرز وقطعة دجاج من الثلاجة، أشعلت الموقد ووضعتها فوقه، انتظرت تقريبًا عشر دقائق حتى سخن الأرز وقطعة الدجاج، أتيت بطبقٍ مصنوع من البلاستيك.. ووضعت به الأرز والقطعة، ذهبت إلى رخامة المطبخ وأمسكت بالسُّم، السُّم الذي سيدخل جسدها ويقتلها.. وضعت منه خمس نقاط.. هذه

النقاط الخمس كفيلة بقتلها، أمسكت بورق السلوفان وغلَّفتها جيدًا، وضعتها بكيس لونه أبيض ومسكتها من ثم نزلت له، أخبرته بأني جاهز، استقليت الموتوسيكل أخيرًا لأول مرة في حياتي، وضع الوجبة بداخل الصندوق، وذهب إلى العنوان الذي حفظته عن ظهر قلب، بعد مرور أربع دقائق بالضبط كُنت أمام العمارة، وضعت يدي في جيبي وأخرجت العنوان، وجدت رقم الشقة فعرفت أنها في الدور الأرضي، استأذنت باسم بأن آخذ منه الطاقية التي يرتديها كي تُخفي معالم وجهي.. ولكن من سيعرفني بلحيتي هذه؟، دخلت إلى العمارة، وبدأت عيناي في التجول داخلها، رأيت الشقة فوقفت أمامها وأنزلت وجهي لكي تُغطيه الطاقية، طرقت الباب عدة طرقات، ففتحت لي، قبل أن تتكلم بكلمة قُلت لها ذلك الكلام:

- إتفضلي يا أستاذة الأكل ده مدفوع حسابه من شخص جه طلبه من المطعم عندنا.. بالهنا والشفا.

وقبل أن تتكلم، ذهبت مُهرولًا تجاه الباب، فسمعت صوت أنثوي يُنادى "يا أستاااااذ!". لم يكن صوت أمي!، فُزعت عيناي وفُزعت أذناي، إذا نظرت خلفي سأهدم كُل ما بنيته، وإذا أكملت طريقي.. فمن يعلم من سيأكل ذلك الطعام المسموم؟!.. أكملت طريقي بالرغم منِّي، واستقليت الموتوسيكل بسرعة، فأخبرته أن "إطلع!".. ضغط على دواسة البنزين، وانطلق.. انطلق إلى مكان..

لا أعرفه!

* * *

توقف بي باسم في مُنتصف شارع ما، تقريبًا أتيت ذلك الشارع من قبل، تنفست الصعداء وأخذت أجول بنظري يمينًا ويسارًا، أشرت لباسم أن "انطلق" فأنطلق هو وظللت أنا في الشارع كما أنا.. كان المساء يُجلي المكان، فبدت الحياة مُبتسمة ولكن ليست لي.. الحياة تعطي لي وجهها المأسوي والعابس، لِمَ نحن دائمًا من نتعرض لذاك الوجه وليس غيرنا؟، دسست يدي في جيبي وبدأت بالسير.. أخذت أنظر إلى السماء كثيرًا!، حتى شعرت بأن اليوم هو آخر يوم لي في الحياة كُلها. فنظرت أمامي بعد كثيرًا من النظر في السماء.. وجدت فتاة، فتاة يُزينها ويُحليها الجمال، شعرت بأنها ملكة جمال الكون، بابتسامة وقفت مكاني، أدارت وجهها لي هي الأخرى، وابتسمت.. فابتسم الكون لي.. وأعطاني وجهه المُبتسم والمُتفائل، رغم حجابها ذلك لم يمنعني من رؤية وجهها في دماغي، اقتربت منها.. وكأنها تنتظر شيئًا ما، أو بالأصح تنتظر شخصًا ما.. أتمنى أن لا يصبح خطيبها أو زوجها، عندما اقتربت منها نظرت إلى يديها، لم أجد دبلة، لا في اليُمنى.. ولا في اليُسرى، شَكرت الله، وبدأت بالسير نحوها، كانت تنظر إليّ وتُركز معي جدًا، سِرت حتى صارت هي خلفي وأنا أمامها وأعطيها ظهري، ولكني أدرت وجهي إليها ورأيتها تُكمل النظر إليّ حتى طأطأت رأسها خجلًا، إنني أعرف تلك الأنثى جيدًا، فمن هي؟، لم أعطِ للإجابة وقتا.. فأكملت طريقي..

حتى وصلت لمنزلي، لم أكن أعرف، هل أحببتها فعلًا!، أم كان مُجرد إعجاب، أم كان مجرد ضحك على النفس كي أقتلها هي الأخرى، ولكني أبعد الاختيار الثالث وتقريبًا الثاني أيضًا، صعدت إلى البيت، وتذكرت ما ينتظرتي بالداخل، سامح وحاتم، لا أعرف ما بهما!، واحد أشعر أنه

أطيب مخلوقات الله، والآخر أشعر بأنه أسوء الشياطين خُلقًا وأحسنهم شرًا!، وضعت يدي في جيبي وأخرجت المفتاح.. ففتحت الباب.. فتحته ببطء شديد، حتى رأيت شخصًا يقف أمامه، ويتمسك بعصا، ابتسم لي فور أن دخلت.. ورفع بالعصا بشدة، وكاد يضربني بها على رأسي، ولكني طأطأت جسدي كُله، وانقضضت عليه، رغم جسده المليء بالعضلات وجسدى الهزيل، لكني استطعت أن أوقعه أرضًا، انهلت عليه بالضربات من كُل حدب وصوب، ولكني عندما بدأت في ضربه.. وجدت سامح وحاتم يقفان أمامي، حاتم يقف بابتسامة، وسامح يقف وهو ينظر إليّ بشفقة!

لم أستطع الكلام، ولكني ضربت وجهه عدة ضربات متتالية جعلت أنفه تُنزف دمًا، ابتسمت بخفة وشعرت أني انتصرت، فقال هو "خلاص يا معلم.. خلاص..". وتوقفت عن الضرب، ولكني أمسكت رأسه بطريقة رائعة حقًا، قُلت له بانتصار حقيقي:

- لو اتحركت من مكانك هكسرلك رقبتك.. هترد على أسئلتي بإجابة أصدقها، لإن وحياة أمك لو ما تكلمت عدل.. لأمسك السكينة اللي في جيب بنطلونك دي، وأخليك تروح متعلم عليك، فُل يا حُبي؟

أومأ برأسه، فابتسمت أكثر، سألته سؤال:

- هاه، قولي بقى، مين اللي باعتك عندي هنا؟

ابتلع ريقه بصعوبة، وتكلم:

- المعلم حامد..
- حامد مين؟؟

- وربنا المعبود ما أعرف، هو قالي روح هاته وتعالي!
- هاته وتعالى، بالسهولة دي.. ليه هو فاكر نفسه مين؟
- إمسحها فيا دي يا باجا..

شرد ذهني، وحاولت تذكُّر ذلك الإسم.. مرت لحظات قليلة، حتى تذكرته أخيرًا، حامد من تشاجرت معه ونحن نلعب الكُرة وكان معي سامح!!، لِمَ يُريد أن يفعل بي ذلك؟، لقد نسيت ذلك الموضوع.. وهو لا ينساه أبدًا؟، سألت ذلك الشخص وقُلت له:

- بص بقى، إنت هتكلم حامد، وتقوله إن وحيد فشخني ضرب يا معلم، ومعرفتش أجيبه معايا، حلو الكلام؟
- أيوة بس أنـ...
- وبعدين بقى، إنت كده مُصمم تزعلني..

ودسست يدي في جيبه، وأخرجت السكين الذي حشره بداخله، ووضعته على فخذه وبدأت بغرزه رويدًا رويدًا حتى سمعت صرخاته، فأخرجتها في سرعة مهولة ليصرخ أكثر وأكثر، حتى إني قُلت له:

- ها يا كبير، لسه برضو عاوز تقتنع؟
- لا يا باجا، خلاص خلاص..

وتركته يذهب وأنا أضع السكين في ظهره، أخرجته من الشقة وأغلقت الباب، تنفست الصعداء، وأغمضت عينيَّ في ارتياح.. ارتياح لم أشهده من قبل!

* * *

فتحت عينيَّ، لأجد نفسي في مكانٍ لا أعرفه، مكان أشبه بشارع لا يوجد به أحد غيري!، المطر يهبط على رأسي بشدة، لِمَ أشعر بالسقيع ها هُنا؟، أخذت أنفاسي.. وبدأت بالتجول، حتى أضاءت الأنوار، نور خفيف يكاد ألا لا يُرى، تشعر بأنه نقطة في عرض بحر، ولكني رأيته، ورأيت شخصًا يقف تحت العمود الذي يشع منه الضوء، يمسك بمظلة تعينه على تلافي مياه الأمطار، فقد شعرت بأن المطر عبارة عن كُرات ثلجية تتساقط بشدة، بدأت بالسير ببطء شديد، إلى أن وصلت إلى ظهر ذلك الرجل، وقفت وبشجاعة قُلت "لو سمحت؟"، أنا أحتاجه.. أحتاج لشخص يشرح لي ما يحدث الآن، فبدا عليه أنه لا يريد التحدث، فقُلت بصوت أعلى قليلًا: "لو سمحت؟؟"، وفجأة بدأت أرجع لا إراديًا للخلف.. وبدأ يدير وجهه لي..

لقد كان سامح!، ارتعبت من وجهه فابتعدت عنه بخطوات، لقد كان وجهه مليئًا بالدماء، ويده أيضًا!، رغم كُل ما أنا فيه، ابتسم هو، ابتسم ابتسامة جعلت أركاني ترتعد، متى سأستفيق من ذلك الحلم اللعين؟، بدأت أشعر بأن ما أنا فيه الآن هو حقيقة وليس حلمًا!.. حتى قررت الركض!، ونعم ركضت.. ركضت بسرعة شديدة وابتعدت عنه، ولكني رأيته مرة أخرى!، رأيت عمود نور، ورأيته يقف أسفله وبيده مظلة يحتمي بها!، لقد كان في كُل الاتجاهات، يُحيطني من شتى الطرق، وقفت مكاني مستسلمًا، حتى اقترب منى بجميع أشباهه، وبدأ في مُحاطتي، حتى أطلقت صرخة بالرغم عني، ولأغمض عينيَّ وأفتحهما..

فأرى سقف غرفتي، قُمت جالسًا على السرير.. وأجول بنظري هُنا وهُناك، بابتسامة تنفست الصعداء، فشعرت بأني عُدت سالمًا غانمًا إلى

دياري، وجدت سامح يُنادي بصوت عالٍ "يلا يا جدعان الفطار". بالفعل قُمت من مكاني، فاليوم ولأول مرة سأذوق طعام سامح!، بتنهيدة اتجهت ناحية الحمَّام، غَسلت وجهي.. ورأيت وجهي الذي شعرت بأنه تغيَّر في المرآة - للأسوأ بالتأكيد - فذهبت إليهم بعد أن نشفت وجهي، خرجت وجلست على المائدة، وجدت سامح يجلس قبالتي، وحاتم يجلس على الطرف الأيمن من المائدة، كُلنا نأكل بشهية مفتوحة، وسامح يُرمقنا بابتسامة، وحاتم لا ينظر إلينا وعيناه لا تُفارقان طبقه، أخذت الخبز وقطعته، وضعت قطعة من الطعمية وبها بيض مقلي وبطاطس، ياله من طعام رائع!، أمسكت الطماطم وقضمتها، وبالخبز بدأت "أغمس" الفول، كُنت على ذلك الوضع لأكثر من عشر دقائق، قام حاتم بتنهيدة:

- يااااااه، يا سلام على دي أكلة، تسلم إيدك يا سامح..

لم يرد سامح، قُمت أنا الآخر، وقُلت له:

- الله عليك يا عمنا.

لم يرد أيضًا!، ما السبب وراء كُل هذا؟، لِمَ لم يتكلم سامح اليوم أبدًا؟، بدت تصرفاته غريبة، ولكني لم أتكلم، قُمت أنتظر خروج حاتم من الحمَّام، وبعد مرور دقائق خرج، دخلت أنا ونظفت وجهي وفمي جيدًا ثم خرجت، وجدت سامح على وجهه علامات البؤس والعبوس، فتكلمت بعد أن جلسنا نحن الثلاثة:

- مالك يا سامح؟، مش مظبوط النهاردة ليه؟

تكلم هو بتلعثم:

- مافيش.. تعبان شوية.
- تعبان من إيه؟

شعرت بشيء ما يجول نحو عقل سامح، وشعرت بأنه فعل مصيبة ما!، لم يتكلم سامح والتزمنا جميعًا الصمت، مرت دقائق، وتكلم حاتم:

- أنا حاسس بدوخة، حاسي إني هموت.. هو فيه إيه؟

ضحكت أنا وتكلمت:

- تموت إيه يا عم فلا الله ولا فالك.
- أنا ما بهرجش.. هو فيه إيييه؟

كلماته كانت تدل على الجدية!، فارتفعت شفتا سامح وبدأ بالتكلم وهو يرتعد:

- أنا آسف.. بس.. بس أنا حاطتلكوا سم في الأكل، وكمان دقيقة من دلوقت.. هتموتوا!

ابتلعت ريقى عنوة، ونزلت كلماته عليَّ كالصاعقة في يومٍ حارٍ، شعرت بأن أركاني اهتزت، وعيني لازالت معلقة بعينه وهي متسعة عن آخرها!، تكلمت أنا:

- ليييييييه؟، ليه يا ساااامح؟، عملتلك إيييه؟

بدأت عيناه تُذرف دموعًا، قُمت من مكاني وأمسكت ياقة قميصه، أنا أيضًا بدأت في البكاء.. بتلك السهولة؟، ستنتهي حياتي بُسرعة هكذا؟، ما الذي فعلته لأجل هذا؟، ولكني لم أتحمل.. ذهبت إلى الجدار، وأمسكت

بالخنجر، هرولت تجاه سامح، وبقوة رهيبة.. وضعت الخنجر في صدره ليخترق جسده، بدأت عيناه تتوقف عن الدموع، وقلبه يتوقف عن الخفقان، ونظرت ورائي بعدما سمعت صوت، قد ارتطم جسد حاتم بالأرض ليعلن نهاية مأسوية له!، سنلحق بعضنا البعض يا أصدقاء بعد قليل، نزل سامح على الأرض، وشعرت بأنه يريد أن يتكلم، فتكلم ببطءٍ وتلعثم شديدين:

- أنا.. ماحطتلكش سِم.. حاطيتله هو بس.

فابتسم سامح، ابتسم وبدأت عيني تنهال بالبكاء، لقد قتلت صديقي!، قتلته وهو لم يقتلني ولم يُفكر بهذا!، يالله.. نزلت دموعي على رأس سامح، فأغمض عينيه، أغمضهما للأبد، وأنا السبب الرئيسي في إغماضهما هكذا، أخذَتْ أنفاسي تتصاعد، وعيناي لا تكفان عن البكاء، حُزن شديد يجتاح قلبي وجسدي، لقد قتلت صديق عمري!، صديق لم أعرف أنه سيفعل هكذا ويقتل الشر الذي اجتاحني واجتاحه.. توقف قلب سامح عن الخفقان للأبد، والدماء تُحيط به من كُل مكان.. لم أخَف من هذا المشهد وهاتين الجُثتين.. واحدة كُنت أتمنى موتها، والثانية لم أتمنَ موتها وأنا من قتلتها..

قُمت من مكاني وأنا أكفكف دموعي، لأذهب ناحية جثة حاتم، لم أتمنَ أن تكون تلك نهايتك.. كُنت أتمنى موتك ولكن ليس بتلك الطريقة، رأيت عينيه مفتوحتين عن آخرهما، وفمه يُنزف دماءً، ابتسمت بانتصار، لم أكن أعرف أبتسم أم أبكي، أبتسم على موت الشخص الذي اغتصب

حياتي، وأبكي على موت الشخص الوحيد الذي وقف بجانبي في تلك الحياة..

وفعليًا.. بدت الحياة مُنتهية!

***

في المساء، تركت الجُثتين في الحمَّام، وأزلت السجاد لأنظفه من الدماء، أخذتهما معي لأقرب مغسلة من البيت، نزلت من البيت واقتربت من مغسلة "مكة"، وأعطيتهما لعم سعيد، رجل في أواخر الأربعينات، أحبه كثيرًا وأعتبره أخي الأكبر، يُحبني هو الآخر بشدة، ولكني أقصر ناحيته ولا أزوره إلا فقط كي ينظف السجاد أو الملابس:

- مساء الخير يا عم سعيد..

كان يُنظف الملابس بالمكوة، فنظر لي وقال:

- أهلًا..

وخرج إلى المكان بابتسامة تدل على الفرحة بصدق، واحتضنني بشدة، وتكلم بعد أن ابتعد عني قليلًا والإبتسامة لا تُفارقه:

- إزيك يا ابني.. عامل إيه؟
- الحمد لله والله يا عم سعيد، إنت عامل إيه وإيه أخبار الدنيا؟
- عال العال.. كده برضو يا ندل ماتسألش عني المُدة دي كُلها..
- أنا آسف والله يا عم سعيد، متبهدل والله..
- متبهدل من إيه، إيش حال ما كُنت عاطل يا واطي.

فابتسمت رغم كلماته الجارحة، فقلت له:

- عادى يا عمنا.. هنعمل إيه بس..
- قلتلك تعالى إشتغل معايا في المغسلة إنت مش موافق.
- لا يا عمنا، أنا ماليش في الغسل والجو ده، ده انا جايلك النهاردة عشان تغسلي السجاد.
- مممم، مصلحة يعني، ماشي يا ندل..

وضعت السجاد بعد أن قطع أنفاسي، فتكلمت بثقة:

- بص يا عمنا، خلي بالك من السجاد والنبي.. وقعت الكاتشب غصب عني عليه بغباوة فالدنيا إتبهدلت والسجاد إتبهدل.
- متقلقش ياض.

ثم استأذنته كي أذهب، سلمت عليه وذهبت، صعدت إلى بيتي، وجدت بابه مفتوحًا!، شخص يجلس على الأريكة لا أرى وجهه، صعدت على السلم، ورأيت وجهه، لقد كان حامد!

يجلس على الأريكة ومن حوله التفَّ بعض الناس، رأيته فتكلم بصوت عالٍ:

- يا أهلًا يا أهلًا، صاحب البيت وصل.. إتفضل يا نجم..

وبخطوات متثاقلة دخلت البيت، ورأيته واقفًا يُرحب بي بخبث واضح، قُلت له أجلس وجلست أنا الآخر قبالته، فتكلم أخيرًا:

- إزيك يا وحوح.. عامل إيه؟
- الحمد لله، ياريت تقولي يا وحيد.

- عينينا يا أبو الوحاويح.. بص أنا جاي أكلمك في شغل وفي نفس الوقت تحذير.
- أؤمر.. بس ياريت بسرعة عشان عندي ميعاد.

قام من مكانه، وابتلعت ريقي خوفًا، ثم جثا على ركبتيه بجانبي.. وهمس بأذني:

- لو قربت من أختي تاني.. مش هيحصلك كويس.

قُلت والتساؤل يعلوني:

- أختك مين؟

اشتدت ملامحه، وتكلم بغضب شديد:

- لأ ***، ركز معايا.. لو قَربت من سمر، أقسم بالله لأقتلك..
- يا باشا بالراحة، عليا الطلاق ما أعرف مين أختك دي؟
- يا ابني بطّل تشتغل أمي..
- يا عم ورحمة أمي ما أعرف، قولي انت شوفتني ماشي معاها ولا شوفتني بصتلها حتى؟، قولي مين دي؟

شعرت بتلعثم على ملامح وجهه، فوضع يديه في جيبه وأخرج صورة صغيرة وضعها في وجهي:

- دي يا فالح..

لقد عرفت من هي، هي الطبيبة التى عالجتنى يوم أن ضربتني روح أبي وذهبت إلى المشفى بسببها!:

- أنا عرفتها، دي الدكتورة اللي عالجتنى يوم ما كنت في المستشفى..
- مممم، مش حاجة تانية يعني؟

**حركت رأسى أن لا، فأخرج صورة كبيرة نوعًا ما من جيبه وقال:**

- **الصورة دي بتقول غير كده..**

**أمسكت الصورة بلهفة، ورأيت أنا وهي نجلس في "كافيه" يطل على النيل!، لم يحدث ذلك أبدًا، أنا لا أتذكر أني رأيت نفسي في مكان كهذا؟، أنا لا أتذكر وجهها نهائيًا!، تنفست بصعوبة بالغة، وتكلمت:**

- **أنا طالب أختك على سنة الله ورسوله!**

**انبهر من سرعة كلامي، فتكلم هو الآخر بغضب:**

- **إنت مجنون يا أبنى ولا فيه حاجة في مخك؟، إنت تعرفها من إمتى عشان أروح أكسر رقبة أمها!**
- **يا عم أنا لا مجنون ولا حاجة، أنا لو حلفتلك من النهاردة لبكره الصبح مش هتصدقني.. فأنا بقولك أهو، أنا طالب إيديها على سُنة الله ورسوله!**

**ظل يضحك كثيرًا، ضحك حتى دُمعت عيناه، فتكلمت أنا ولا أفهم شيئًا:**

- **هو فيه إيه يا حامد؟**
- **يا ابني انت خطيبها أساسًا!**

*** * ***

- ***وحيد إنت مش مجنون.. إنت تعبان نفسيًا، مريض نفسيًا، حالتك أنا إلى الآن مش قادرة أفسرها، بس إنت حالة معدتش عليا قبل كده..***

*** * ***

مرت الأيام وأنا لم أخرج من البيت أبدًا، لم أفهم.. متى خطبتها؟، هل أنا أعاني من حالة فقدان ذاكرة؟، هل نسيت أني خطبت فتاة؟، فتاة لم أرَها إلا مرة واحدة فقط؟!، كُل تلك الأسئلة كانت مُهمة، ولكنها أقل أهمية من ذلك السؤال: "ما الذي حدث لأمي؟"؛ لذلك قررت الخروج من البيت متحررًا كطير قرر الخروج من القفص الذي يعيش به، ارتديت ملابسي، ونسيت أمر الجثث، الغريب أني أخاف دخول الحمَّام الآن، وأخاف أن أبلغ حامد.. الغريب أكثر أن الجثث لم تتحلل بعدا!، أثار ذلك السؤال ريبة بداخلي، صراع وهياج يدور داخل عقلي، خرجت من المنزل.. وقُلت أني سأذهب لعم سعيد بعد أن أعرف ما الذي حدث لأمي، استقليت تاكسي إلى المنطقة التي تعيش بها أمي، وبعد مرور دقائق، وجدت التاكسي يقف.. أعطيته عشر جنيهات حسب ماظهر بالعداد، وخرجت من التاكسي، دخلت العمارة، ووقفت أمام الشقة ثم بدأت الطرق على الباب، مرت ثوانٍ قليلة..

حتى رأيت أمي تقف أمامي!، ترتدي ملابس سوداء، بصوت القرآن استنتجت ما حدث..

لقد قتلت أختي؟؟؟؟!!!، لم أقتل أمي.. لم تأكل أمي الطعام.. بل كانت أختي، الصوت الأنثوي الذي نادى عليّ، كان أختي؟؟، يا الله.. صُعقت، اهتزت أركاني.. ذرفت دموعًا، لتتكلم أمي:

- ماتت..

فتبكي هي الأخرى، ولأذهب في أحضانها، حُضنها الذي ذهب عنِّي لسنوات، اشتقت إليها، كُنت أود قتلها.. ولكن أحضانها لم تذهب عنِّي، بكيت

بشدة، وعيناي لا تكفان عن البكاء، دخلت إلى الشقة وأنا لم أمسح الدموع حتى، أوقفت المسجل، وظلت تبكي وأنا أيضًا.. مؤلم أن يأخذ الموت شخصًا، وأكثر ألمًا أن تموت بسبب موته.. تكلمت أمي:

- كانت بتحبك ونفسها تشوفك، كانت كُل يوم بتقولي عاوزة أشوف وحيد يا ماما من كُتر ما حكتلها عنك..

عيناي تُمطر، وهي لا تهدأ عن الكلام عنها، استطردت قائلة:

- كان اسمها مها.. ستاشر سنة بربي فيها على أساس إنها هتطلع حاجة، ستاشر سنة من ساعة ما سبتك وهي معايا، أهي ماتت.. ماتت يا وحيد.

وضعت يدي على عيني كي أجعلها تهدأ قليلًا، لم أكن أتوقع أبدًا تلك النتيجة:

- كُنت بحبها أوي يا وحيد، بحبها أوي..

أخذ صوتها في البُكاء يعلو، حتى شعرت بحشرجة خرجت منها، أغمضت عينيها في استسلام.. وأرجعت رأسها إلى الوراء، وشعرت لوهلة أنها تبتسم.. وأخذت أنفاسها تهدأ هدوءًا تامًا..ناديت عليها بصوت هادئ:

- ماما..

لا تستيقظ، لا تفتح عينيها، لا تتنفس.. لقد توقف قلبها هي الأخرى..

لقد ماتت أمي..

* * *

وقفت في عزائها، وقفت وأنا أرتدي البدلة السوداء، عيناي لا تكفان عن البكاء، لم أكن أعرف أن الموت صعب لهذه الدرجة، لم أكن أعرف أن فراق الأحبة صعب، لم أكن أعرف أني سأحزن على أمي.. لقد كُنت سأقتلها!، ولكنها ماتت وحدها!!، يا الله.. كم هذا اختبار صعب منك، وقفت والناس تعزيني، القرآن يُستمع، فترة طويلة لم أصلِّ.. ولم أسمع القرآن، لم أسمع الذِّكر، لم أسمع تواشيح النقشبندي.. إنني أكره نفسي، اللهم احفظ كُل شخص من نفسه، ابتلعت ريقى.. لم يكن في العزاء إلا أنا وأصدقاء أمي في العمل بعضهم رجال، انتهت حياة أمي.. وانتهت حياة أعز أصدقائي، وانتهت حياة أختي التى لم ولن أراها، انتهت الحياة بالنسبة لي.. لِمَ سأعيش بدونهم؟

مرت ساعتان.. وانتهى العزاء، سَلم الجميع عليّ وبجانبي كان عماد وعمي سيد، قُمت من مكاني، وذهبت إلى أقرب مكان أغسل به وجهي.. وجهي الذي سينهار بعد قليل، لا أريد أن أصدق أن الثلاثة قد ماتوا دُفعة واحدة، والمصيبة أن الثلاثة أنا السبب في موتهم، يالله، دخلت إلى أقرب مسجد، كُلما أنسى يوم وفاة سامح، لا أنسى أبدًا يوم وفاة أمي أمامي، جلست على أرض المسجد، وبدأت عيناى في البكاء بشدة، كُل ذلك حدث بسببي.. وبسبب أنانيتي، خوفي من كُل هذا هو ما جعل كُل هذا يحدث، لن أنسى أبدًا يوم وفاتهم، أبدًا!

مددت جسدي على الأرض، وعيناي محدقتان في سقف المسجد، مرت دقائق وغفوت قليلًا، ولكني استيقظت مسرعًا على صوت شخص يُوقظني، لقد كان شخصًا ذا لحية مثلي، ولكنه كبير في السن ويمسك بمسبحة، فعرفت أنه شيخ المسجد، قال لي بابتسامة:

- السلام عليكم يا ابني.. مالك، وشك ماله كده؟

قمت جالسًا على أرضية المسجد، فتكلمت وأنا أمسح دموعي:

- مافيش يا سيدنا، أنا بس مخنوق شوية، أمي ماتت وصاحبي وأختي..

جلس هو الآخر بجانبي على أرضية المسجد وتكلم:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، شِد حيلك يا ابني، أه.. إنت صاحب الصوان اللي بره ده؟
- أيوة يا شيخنا..
- البقاء لله، أنا اتحطيت في نفس موقفك ده قبل كده.. بس ولادي التلاتة بقى.

ظهرت ملامح الحُزن على وجهه، فتكلمت أنا وأنا أهدئه:

- الحمد لله على كُل حال،كُلنا لها..
- مظبوط يا ابني، أنا عاوزك تسترجل شوية يا ابني، أنا لم عرفت إنهم ماتوا، معملتش أي حاجة غير إني صلّيت.. صلّي يا ابني، حاول تبقى كويس، حاول ما تعيطش.. عشان ما تبقاش ضعيف على الأقل قُدام نفسك، خليك قوي بقدرة سبحانه.. إوعى تضعف.
- لكن أنا اخترت الشر يا شيخنا..
- يا ابني.. ربك سبحانه وتعالى بيقول إيه (وهديناه النجدين)، ربك إداك طريقين، طريقين مش أكتر، الخير والشر، إنت اخترت الشر، فيه طريقة إنك تبقى ماشي في طريق الخير، إحود أول ما تجيلك

حاودة.. وإوعى ماتحودش، لأنك احتمال ماتلاقيش الحاودة دي تاني..

- يعني إيه يا شيخ؟
- هتفهم كلامي أول ما تجيلك الحاودة دي يا ابني.. خليك قوي، وعندك إيمان بالله، إنت باين عليك طيب وإبن حلال، يعني ربنا مش هيسيبك..
- ربنا يخليك يا شيخ، كلامك ده ريحني أوي.. ربنا يكرمك.
- أنا عملي في الدنيا دى أريح الناس وأوصلها للبر والتقوى، أنا مش رسول ولا حتى ولي، بس مش لازم الواحد يبقى رسول أو ولي عشان يظهر الحق من الباطل.. قوم دلوقت، صليلك ركعتين شُكر على كُل حاجة أخدتها من ربنا..

قُمت من مكانى وعلى وجهى ابتسامة، قام الشيخ.. ودخلت إلى دورة المياه كي أتوضأ، أنهيت وضوئي، وبدأت بالصلاة، صلاة شُكر لله عز وجل.. على كُل شيء!

* * *

أنهيت كُل شيء، واتجهت ناحية بيتى سيرًا على الأقدام، شعرت بالارتياح قليلًا، فأخذت بالسير بخطوات سريعة، ولكني توقفت فجأة عندما نظرت على يميني وجدت لافتة كُتِب عليها "د/ سماح صدقي، طبيبة نفسية"، خُلقت بداخلي الفكرة، ماذا لو صعدت إليها!، هل ستحل إليّ مشاكلي؟، لم أفكر كثيرًا، وجدت قدميَّ تقودانني نحو العمارة التي تقطن فيها الطبيبة.. سألت البواب فقال لي أنها في الدور الثامن، أخذت

الأسانسير، وصعدت إلى الدور الثامن.. وجدت باب العيادة مفتوحًا، دخلت أخيرًا.. وجدت العيادة فارغة من أي مرضى!، الممرضة تجلس على كُرسي تشاهد التلفاز وتأكل "اللب"، تنحنحت قائلًا:

- مساء الخير يا فندم..

شعرت بتلعثم في تحركاتها، ولكنها سرعان ما قالت:

- اتفضل يا أستاذ..

جلست على الكُرسى وقالت:

- الإسم؟
- وحيد كامل..
- جاي تـ...

قاطعتها باحترافية:

- أيوة..

فتكلمت:

- تمام، ثانية واحدة..

قامت من مكانها، وذهبت إلى غرفة الطبيبة، بعد دقائق عدة قالت:

- إتفضل يا أستاذ
- طيب الحجز بكام؟
- لأ حضرتك بتدفع الفلوس بعد ما بتدخل وبتكشف..

وبالفعل دخلت، وجدت جوًّا هادئًا تمامًا، سمعت صوت موسيقى هادئة تُهدئ من الروع بطريقة جيدة، و"شيزلونج" أمدد عليه، مكتب للطبيبة وُضِعت عليه لافتة صغيرة مكتوب عليها"د/سماح صدقي"، فجلست على الكُرسي المقابل للطبيبة بعد أن أشارت إلى بالجلوس، قالت لي:

- إسمك؟
- وحيد كامل..

خلعت النظارة التي ترتديها، فوضحت لي معالم وجهها أكثر، كانت في الأربعينات من عمرها، وجهها جميل بالنسبة لسنها، رفيعة قليلًا، ترتدي ملابس لا أستطيع وصفها لأني لا أعرف شيئًا عن ملابس النساء.. فتكلمت:

- طيب بُص يا وحيد، أنا دكتورة سماح، ممكن تقولي يا سماح اللي تحبه، أهم شيء إنك تحكيلي عن كُل شيء بالتفصيل الممل.. عاوزك تحسسني بالملل، حتى لو قلتلك على أي كلام وقلتلك إن أنا حاسة بملل كمّل وملكش دعوة بيا، أوك؟
- تمام يا دكتور..
- عاوزاك تفتحلي قلبك، متسيبش تفصيلة إلا أما تحكيها، حتى قول إنك صحيت الساعة اربعة، لو فاكر إنك صحيت أربعة ودقيقة قول أربعة ودقيقة.. تمام يا وحيد؟
- تمام يا دكتور..
- يلا نبتدي؟
- تمام يلا..

* * *

# الجُزء الثالث

## النهاية

انتهيت من حكي القصة للطبيبة. شعرت بشيء من الانهيار، وشعرت بأن المفاجآت التي نزلت عليّ كأنها نزلت عليها بالضبط. لا أعرف شيئًا ولكني أتوقع أن تقول لي هذا. ارتدت النظارة مرة أخرى، وتكلمت:

- تمام يا وحيد، إنت ممكن توريني كفك اليمين؟

بالفعل، مددت لها كفي، ورأيت آخر رسمة رُسمت على يدي، فتكلمت:

- طيب بُص يا وحيد، إنت حالتك صعبة جدًا، أنا مجاليش حالات قبل كده زي دي، أنا عاوزاك تروح وتجيلي بُكرة في نفس ميعادنا، الساعة تمانية.. هنبقى مع بعض لمدة طويلة جدًا خلى بالك من ده، تمام يا وحيد؟
- تمام يا دُكتور..
- تقدر تتفضل..

وقامت من مكانها، مدت يدها كي تُصافحني، فصافحتها وانطلقت إلى البيت، وأنا في شارعي، اتجهت صوب عم سعيد لآخذ السجاد. اقتربت ودخلت المحل:

- إيه يا عمنا، خلصت السجاد؟
- أه يا وحيد خلصته.. بس فيه حاجة غريبة، السجاد مفيهوش أي حاجة، السجاد نضيف وزي الفل!

صُعقت من الجملة:

- يعنى إيه يا عم سعيد؟، بقولك أنا وقعت الكاتشب بإيدي؟

- مافيش أى كاتشب.. أقولك على حاجة حلوة، مافيش أي حاجة وقعت عليه أبدًا، السجاد نضيف!
- يعني حضرتك دخلته الغسالة؟
- لأ مادخلتوش، لأنه نضيف!!!
- ماشي يا عم سعيد، هاتهولي..

وساعدني في نقله إلى الشقة، لقد كان ثقيلًا حقًا، دخلنا الشقة سويًا، وفرشه على الأرض فقال:

- شوفت إن مافيش حاجة؟

بالفعل لم يكن هُناك أي شيء؟!، شيء غريب جدًا ومُريب!!!، لقد كانت الدماء تُحيط بسامح؟، وفي نفس الوقت، جاء عماد من الخلف، ودخل إليَّ الشقة وهو حزين للغاية:

- إزيك يا ابن عمي، معلش أنا آسف إني موصلتكش بس الدنيا كانت متلخبطة معايا..
- ولا يهمك يا عماد، إتفضل..

فتكلم عم سعيد بعد أن شعر أن وجوده مثل عدمه:

- طيب أستأذن أنا بقى.. أصل المحل لواحده.
- إتفضل يا عم سعيد..

ونزل عم سعيد وأغلق الباب خلفه، بدأت أنا أقول بصوت خافت:

- جيت في وقتك يا عماد، بص أنا عاوز تخفيلي جُثتين..

- تمام يا معلم، هاستلمهم إمتى؟
- دلوقت لو تحب..
- العربية النص نقل مش معايا، بس سيبني أشوفهم.

أدخلته إلى الحمَّام، ونظرت إلى الجثتين، فأخذ يجول هو بنظره هُنا وهُناك، فأشرت إلى البانيو على جُثة سامح، وجُثة حاتم الملقتين على الأرض:

- إتفضل.. إيه رأيك؟
- في إيه؟
- في الجثتين؟
- هُما فين الجُثتين دول يا ابني؟

ابتلعت ريقى بتلعثم، ووضحت معالم المفاجأة على وجهي، فتكلمت:

- أهم يا ابني.. قُدامك أهم!!
- وحيد مش ناقصة اشتغالات، هُما فين وخلّصني أرجوك؟
- ورحمة أمي وأختى وصاحبي اللي لسه مايتين قُدامي أهم!!
- ورحمة أمك وأختك وصاحبك.. أنا ما شايف حاجة قُدامي!!!!!

* * *

وفي اليوم الثاني استيقظت، استيقظت أخيرًا بعد عناء مع الأحلام، سمعت صوت طرق على الباب وهو السبب في إيقاظي، ذهبت وأنا أقول: "أيوة حاضر". فتحت الباب.. وجدتها سمر خطيبتي!، للمرة الثانية التي رأيتها بها، للحظة.. تذكرت الحلم الذي رأيته في شقة سامح

* * *

*مُمدًا على سرير، والطبيبة تقف أمامي، يالوجهها الملائكي، لقد رأيت تلك الطبيبة من قبل، لقد كانت هي الطبيبة التي عالجتني يوم أن ضربتني روح والدي!، أتذكر وجهها جيدًا!، ولكنها كانت تتكلم بطريقة عجيبة:*

- *إنت كويس النهارده يا حبيبي؟*

*لم أتعجب، لأني أعرف أني بحُلم وسيذهب كما جاء:*

- *أيوة.. أنا كويس..*
- *شد حيلك عشان ميعاد خطوبتنا قرب.. عاوزاك تبقى صاغ سليم..*
- *متقلقيش.. إن شاء الله خير..*

*  *  *

تظاهرت بالابتسامة لها، فقُلت لها:

- إتفضلي..

دخلت الشقة، من ثم جلست على الأريكة، وجلست أنا قبالتها:

- إيه أخبارك النهاردة يا حبيبتي؟
- تمام طول ما أنت تمام يا حبيبي..
- هبقى كويس إزاي وأمي وأختي ماتوا يا سمر؟
- أنا أسفة يا حبيبى، نسيت أبلغك وأقولك البقاء لله..
- ولا يهمك..

أخذ الصمت دوره، فلم نتبادل الحديث، ولكنها للحظة تكلمت:

- إحنا هنتجوز إمتى ؟
- معرفش والله ظروفي، وانتى عارفة.. الكلام ده يتقال بعد الأربعين يا سمر، صح ولا إيه؟
- صح يا حبيبي، أنا آسفة..

رن هاتفها، فتحت حقيبتها ورأت من اتصل بها، فسمعت صوت هاتفها يقول "حامد"، فقالت إليّ:

- خلاص بقى، هشوفك بكره، ماتنساش تكلمني واتس بليل، عاوزاك في موضوع مهم..
- حاضر يا سمر عينيا..
- حاسة إن فيك حاجة مش مظبوطة..

تهربت من الإجابة بإجابة أخرى:

- ما قلتلك يا سمر، أمي وأختى ماتوا..
- ربنا يرحمهم..

ببرودٍ تامٍ ذهبت، انطلقت إلى أخيها الذي ينتظرها بالأسفل، شعرت للحظة بأن هُناك شيئًا يجذبنى بداخل كفي!

لقد تغيرت الرسمة برسمة أخرى، نفس الرسمة التي كانت على كفي يوم عرفت أن أمي – رحمها الله – حية تُرزق!، معنى ذلك أن شخصًا من عالم مجهول يريدني أن أزوره في قصر البارون..

إن الحقيقة تُكمن في قصر البارون!!

* * *

كانت الساعة تُشير إلى الثامنة مساءً، وأنا الآن في الأسانسير، بالانتظار أن يصعد إلى الدور الثامن حتى أزور الطبيبة، ولأحكي لها ما حدث اليوم، توقف في الدور الثامن أخيرًا، دخلت العيادة، ووجدت الممرضة جالسة، كعادتها تأكل اللب، وتري أحد المسلسلات التُركية البائسة، رأتني فقالت لي "إستنى ثانية"، دخلت إلى الطبيبة وظللت أنا واقفًا، وكالعادة، فالعيادة كانت فارغة من جميع البشر.. خرجت الممرضة ودخلت أنا، قامت الطبيبة من مكانها كي تُسلم عليّ، فسلمت أنا عليها وقالت لي:

- إزيك يا وحيد، أحسن النهارده؟
- الحمد لله يا دكتورة، بس حصل شوية حاجات غريبة جدًا..
- هنقعد وهنسمع كُل حاجة دلوقت..

بالفعل جلست وجلست هى الأخرى، وقالت لى:

- يلا يا وحيد، جاهز تتكلم؟
- أيوة يا دكتورة.. أنا جاهز..

مرت نصف ساعة أحكي لها ما حدث اليوم، جعلتها ترى كفي لترى الرسمة الجديدة، وبدأت تبتسم تدريجيًا، شعرت أن ابتسامتها ابتسامة انتصار، انتهيت من الحكي، وقالت هي:

- وحيد ممكن أشوف بطاقتك بعد إذنك؟
- أوي أوي..

وقفت من مكاني، وأخرجت بطاقتي فأعطيتها إياها، بدأت بالقراءة بدون أن تصدر صوتًا، فنظرت إلي نظرة ماكرة، من ثم تكلمت:

- إنت ما اسمكش وحيد!

ابتسمت وقلت لها:

- إزاي يعنى يا دكتورة؟
- أنا عاوزاك تقرأ إسمك اللي في البطاقة!
- عينيا..

أمسكت البطاقة وبدأت بالقراءة:

- أهوا، وحيد كامل، إيه بقى؟
- لكن انت مش وحيد!
- مش فاهم؟
- إنت اسمك حاتم.. حاتم كامل السيد، إنت مش وحيد!!!

قمت من مكاني مُستنكرًا وبغضب شديد اجتاح أطرافي:

- يعني إيه؟؟؟؟؟
- يعني.. مافيش حد إسمه وحيد، إنت خلقت شخصية وحيد الغلبانة الطيبة عشان ترتاح، تقدر تقولى إيه اللي بيخليك تشوف كوابيس حقيقية حصلت بجد؟، يوم ما قتلت والدك، إنت صحيت من النوم على أساس إنك مالقتش جُثته.. لكن إنت اللي دفنتها في أوضته! إنت دفنت والدك في أوضته، دفنتها بشخصية حاتم.. إنت لما بتعيش بشخصية بتنسى هو عمل إيه في حياته!، تقدر تقولي إزاي صحيت ولقيت نفسك خاطب واحدة إنت مشوفتهاش غير مرة واحدة؟، تقدر تقولي إزاي عماد إبن عمك مشفش الجُثتين؟، تقدر تقولي لما

كُنت بتتخيل نفسك شخصية شريرة وكان دايمًا بيقولك إن فيه أوامر جيالي بكده.. ولما قالك إن الأوامر دي جاية منك إنت؟، تعرف ليه؟، لأن عقلك الباطن مديك أوامر بشخصين إنت بس اللي شايفهم، شخصية حاتم وسامح.. شخصيتين ملهمش أي وجود، إنت حاتم.. مافيش حد إسمه سامح.. مافيش حد إسمه وحيد!، إسمك اللي انت مستنكره ومش راضي حد يناديك بيه لدرجة إن عقلك الباطن كُل ما حد يقولك "حاتم" تسمعه وكأنه بيقولك "وحيد"، حتى بطاقتك، إنت شايف الإسم "وحيد كامل"، لكن انا شايفاه "حاتم كامل"، إنت تعبان نفسيًا يا حاتم، كُل اللي إنت عملته ده كان غصب عنك، وفيه حاجة كمان لازم تعرفها..

- إنت ما دبحتش والدك، والدك لسة ميت من شهر..

* * *

*وفجأة سمعت صوت، صوت شخص يأتي من خلف الجدار، يأتي بالضبط من غرفة أبي مرة أخرى، تنهدت وكأني تعودت على ذلك وتعودت على صوته، قُمت من مكاني بشعور من الخوف والتعب والاعتياد.. سمعت صوت سعال شديد من الداخل، فبدأ شعور الخوف يزداد!، اقتربت بخطوات جبانة، وفتحت الباب ببطء، رأيت الأضواء مُضاءة، والأرضية يفترش فوقها فِراش، ابتلعت ريقي عنوة، واشتد خوفي عندما رأيت أبي مُمددًا على السرير ويسعل بشدة، وقد دهس الزمن على وجهه كما فعل مع أمي!، ما يحدث حاليًا هو حقيقة!، لا يوجد ما يدل على أنه من وحي الخيال!، فجأة رأيت أبي ينظر لي، يتكلم بحشرجة وبصعوبة شديدة:*

- *أقعد.. أقعد ياسامح..*

*رغم معرفتي بأنه يُخرف ويهزي، جلست:*

- *عارف إنك تعبان، وعارف إنك مش هتصدق كلمة من اللي بقولها دلوقت، إنت لازم تروح لدكتور نفساني، لازم يشوفك ويقولك إنك مش مريض زي ما انا متوقع، يا ابني متخليش الوهم يعيش فيك، ولا إنت تعيش في الوهم، خليك انت الحقيقة، عشان تعرف تعيش..*

*وأخذ في الابتسام، وفجأة اعتدل في نومته ثم ظل يحملق في السقف، حتى ثبتت عيناه دون أي تحرك من مكانها، ووقف قلبه عن الخفقان، تنفست بشدة، وعَرفت أنا ما رأيته كان مُجرد تهيؤات عكس ما توقعت، كلامه كان يدل على أنه يعيش في عالمي.. بل هو يخترق عالمي، هو مُجرد روح بلا واقع، وموت بلا نهاية.*

* * *

أبوك كان عايش معاك في نفس البيت، نفس الشقة، كُنت بتشوفه من وقت للتاني.. لأنه هو عارف إنك مريض، هو بيشوفك كُل يوم لكن إنت ماتقدرش تشوفه، وإنت نايم كشخصية وحيد شخصية حاتم بتشتغل وبتتعامل معاه عادي جدًا، لكن بشخصية وحيد إنت مش مصدق إنه عايش فمش بتقدر تشوفه، طيب هقولك على شيء يثبتلك كلامى، فاكر القطة اللي دخلت بيتك؟

* * *

*وسمعت صوت الهرة التي نسيتها تموء!، وتموء مواء شديدًا وكأن هُناك شخصًا يغتصبها بالداخل!، هرولت إليها مُسرعًا، وسُرعان ما هدأ المواء عندما حضرت لها!، دخلت غُرفتي التي كانت فيها الهرة.. لأجد ما لم تتوقعه عيناي أبدًا..*

*لقد قُتلت الهِرة، والدماء تتجمع حولها بغزارة!!*

* * *

- القطة دي أبوك اللي قتلها لما دخلت الشقة، قتلها لم لقى انك مريض نفسيًا ومش بتكلمه ولا حتى بتسلم عليه.. حس إن خلاص حياته انتهت، من كُتر الغضب اللي كان عايش فيه، حس إنه عاوز يفرغ الغضب في حاجة، قتل القطة، عشان يحس إنه له لازمة في الحياة دي..

- الكلام ده يُسمى إيه في الطب النفسى يا دكتور؟

- الطب النفسي مالهوش أي علاقة بالمرض ده، فيه مرض إسمه "إضطراب الهوية الإنشقاقى" يعني انت بتشوف نفسك شخصية تانية مُضادة ليك، إنت بتحمل الخير وهي بتحمل الشر، لكن في حالتك.. فيه شيء إسمه "انقسام الروح"، والدك لما انت تخيلته مات.. روحك انقسمت، فتخيلت شخصية "وحيد" اللي انت عِشت بيها طول عمرك، والشخصية التانية اللي انت خلقتها اللي اسمها "سامح"، إنت عِشت حياتك كُلها بشخصية مُزيفة.. ملهاش أي وجود.. النهارده بليل لازم

تروح لهم في قصر البارون، النهارده هو الخلاص ليك منهم، من الشخصيتين اللي انت خلقتهم، يا هتتغلب عليهم يا إما هما اللي هيتغلبوا عليك.. أرجوك خلي بالك من نفسك.. وهنتظرك بُكره في نفس الميعاد، من النهارده إنت إسمك حاتم، أول ما تبص في المراية هتلاقي وشك بقى وِش حاتم، إنت متخيل وش مش وشك، وإسم مش إسمك، ده أكبر دليل على إن العقل ده شيء غريب جدًا!، إوعى تنسى أرجوك، من النهارده إنت إسمك حاتم..

* * *

***<u>ملحوظة</u> "ذلك المشهد لن يقصّه علينا حاتم، بل سيقصه علينا الراوي"***

رغم أفكاره.. ورغم عبث عقله وإرسال أفكار في مُنتهى الدموية، رغم جسده الذي اقترب من الموت، خَطى (حاتم) أول خطوة تجاه القصر، يسير بمنتهى الهدوء الظاهري، ولكن بداخله نيران كادت تُحرق جسده كاملًا، نيران التساؤل والحيرة، ماذا سيفعلان به هذان الأحمقين اللذين ليس لهما وجود في حياته أو حياة غيره، مَسح قطرات عرقه بمعصمه، واتجه نحو الدرج، بخطوات متثاقلة صعد الدرج بأكمله، وللحظة توقف، توقف وهو يعيد التفكير للمرة الأخيرة.. هل يدخل إلى الغرفة التي بانتظاره بها؟، أم يخرج من حيث جاء ويكتفي بأنهما ها هُنا في حياته؟!، ولكن لا.. نظر إلى سقف القصر، ودعا الله أن يقف بجانبه، وليدخل الغرفة، غُرفة متهالكة، تشعر بأن كُل ما فيها قد مات منذ زمن، مصباح صغير مُعلق بالأعلى، رغم كُل شيء بالغرفة، إلا أنها كانت جميلة.. ساحرة بعظمة التاريخ..

بدأ حاتم يتجول بعينيه، ليراهما هما الاثنين يقفان كمنكر ونكير، ابتسم لهما ابتسامة ظاهرية، وتكلم وحيد بثقة:

- أهلًا بيك يا حاتم، نورت!

رد حاتم عليه بثقة وخوف:

- عاوز مني إيه؟
- أنا مش عاوز منك حاجة، أنا جايبك علشان أقولك، إبعد عن حياتي..
- إنت مالكش حياة!

فأردف سامح:

- النهارده هنعرف مين اللي له حياة!

ابتسم وحيد وتكلم:

- أكيد، اللي هيطلع مُسدس، مش هيبقى له وجود في الحياة، إنتم فاهمين؟

وساد الصمت وأخذ دوره، دوره الذي طالما انتظر أن يأتي، أخذوا ينظرون إلى بعضهم، خصوصًا وحيد الذي أخذ ينظر في عينا حاتم، وسامح الذي ينظر في وجه وحيد، الخوف قد تلاعب بأطرافهم، أخرج وحيد مسدسه، فأخرج الاثنان مسدسيهما، جهزوا جميعهم مسدساتهم لإطلاق الرصاص في آنٍ واحد، تكلم وحيد وقد صوَّب مسدسه تجاه المصباح، ضغط على الزناد فتنطلق رصاصة تجاهها فتفجرها، وساد

الظلام بينهم، ولا يرى أحد كف يده!، بدا وحيد يتلاعب بهما، وبدا واثقًا من نفسه، فأردف وحيد في ذاك الظلام:

- أنا آسف يا سامح..

وأطلق رصاصة تجاه سامح، اخترقت قلبه فمات على الفور، ارتطمت رأسه بالأرض وسبح في دمائه، تكلم وحيد بغرور خالص:

- دلوقت الجيم بقى ليا وليك، إيه رأيك.. نعمل إتفاقيه؟
- إتفاقية إيه، إنت مجنون؟
- إحنا مجانين فعلًا!، إسمع..بدل ما يحصل مجزرة هنا، أنا قابل إنك تعيش في حياتي، لازم تقبل إنت كمان إنى أعيش في حياتك؟
- لكن أنا مش موافق..
- هتوافق!
- أنا مش هخليك تخترق حياتي!
- ما أنت كمان اخترقت حياتي، إغتصبتها وخلتها أسود حياة في الكون، خلتنى أخسر أمي وأختي!، خلتني أتعلم الخوف، خطبت واحدة أنا مبحبهاش.. إغتصبت حياتي كُلها، ولا كأن فيه بني آدم عايش جواها..
- عشان كده أنا مش هخليك تعيش جوايا..
- حاتم إنت عارف إني طيب، بس إنت لازم تخليني كده في دماغك، لازم تخليني طيب، أنا مش شرير زي ما انت فاهم!، أنا أطيب منك!
- مفيش حد طيب يقول على نفسه إنه طيب يا وحيد.
- ومفيش حد غبي يقول على نفسه إنه غبي!

- إنت عاوز إيه منّي؟

ارتسمت على وحيد ابتسامة خارقة، وتكلم:

- نتفق، مش عاوز أكتر من إننا نتفق..
- نتفق على إيه؟
- إن كُل واحد يعيش في حياة التاني!

صوَّب حاتم المسدس تجاه وحيد بهدوءٍ تامٍ، ولكن رآه وحيد فأرتعد:

- إهدا.. إنت مش أد إنك تموت..
- أنا مش عاوز أعيش!
- لو قتلتني مش هيبقى لك وجود؟
- ولا انت كمان هيبقى لك وجود!

ورفع وحيد المسدس تجاه حاتم، وضغط على الزناد فانطلقت الرصاصة لتأتي في قلب حاتم مباشرة، وبسرعة يضغط حاتم على الزناد فتنتطلق رصاصة تأتي في قلب وحيد بالضبط.. وليفترش الاثنان على الأرض، وعيناهما ثاقبتان في عينا بعضهما البعض، والدماء تغرقمها من شتى الاتجاهات، حتى يهدأ القلب، وتهدأ الأنفس.. ويهدأ كُل شيء.. ولتقف عيونهما عن التحرك للأبد، ولتمر دقائق قليلة على هذا المشهد وكأنه تجمد..

فلم يصبح للجثتين أيُّ أثر!

النهاية

* * *

## *"أوراق لم يضفها المؤلف إلى روايته"*

انفتحت عيناي، علامات التعجب تستقر في جسدي بأكمله، وجدت نفسي أرى سقف غرفتي، أغلق عينيَّ وأفتحهما، فلا يوجد أي مفر من الخروج أبدًا من هذا المأزق اللعين، هل أنا أحلم؟، هل أنا بداخل كابوس؟، هل أنا أتوهم الآن؟، لا شيء من هذه الإجابات صحيحة، وليس بهم إجابة خاطئة!، فمن يعلم.. رُبما أعيش بجسد أحـ...

لحظة، من أنا الأن؟، من صاحب الوجه والعقل الذي يتحدث الآن إلى نفسه؟، لم أعطِ مُهلة للتفكير، قُمت من مكاني مُسرعًا.. ولكني سرعان ما وجدت هاتفي يرن، دون أن أنظر لاسم المتصل، رديت:

- مساء الخير يا أستاذنا، إزي حضرتك؟

ردت بتعجب:

- مين معايا؟
- أنا كَريم غُنيم يا أستاذ، مُدير دار الطوق للنشر والتوزيع..
- مم.. خير إن شاء الله؟
- خير إن شاء الله؟؟، واضح إن حضرتك لسه مافوفتش، على العموم، أنا ببارك لحضرتك.. الرواية نزلت في المكتبات النهارده، وما شاء الله الإقبال عليها عالي جدًا، حضرتك هتفتح الباب دلوقت وهتلاقي نسخة من الرواية موجودة، أتمنى تعجبك الطبعة.. وأتمنى المفاجأة تعجبك..

- رواية إيه؟ أنا مش فاهم حـ...

وانقطع الصوت، وأنا لم أفهم شيئًا؟، طالت الأسئلة بداخل عقلي، ولكني ذهبت مسرعًا ناحية الباب، فتحته عندما وجدت تغيرات في الشقة كثيرة، ورأيت صندوق هدية، لم أحتَج لذكاء خارق لأعرف أن بهذا الصندوق الرواية!، أخذتها واتكأت على الأريكة بعد أن أغلقت الباب، جلست عليها وفتحت الصندوق بلهفة، رأيت النسخة، كان أسمها "اختلال" للكاتب (سامح الصريطي)، اتسعت عيناي في خوف شديد، وألقيت النسخة بعيدًا عنِّي بشهقة جعلت جسدي ينهار، ظللت أنظر للنسخة بخوف شديد، وقفت من مكاني بعدما زادت ضربات قلبي، وذهبت إلى الحمَّام ناظرًا إلى المرآة..

لقد كان وجه سامح!

* * *

*" إنت مش وحيــد!"*

*ما هذا الصوت؟، من الذي تكلم؟، من أين يصدر هذا الأنين الذي أسمعه؟، قُمت من مكاني مرعوبًا، لقد كان يصدر من غرفة أبي المقتول!!!، لقد.. لقد أزلت البلاط بأكمله ولم أرجعه كما كان؟، عظامه المُتناثرة في أرضية الغرفة ستجلعه حيًا!، تبًا للأفلام الأمريكية!، هل شبح أبي قد أتى لينتقم منِّي؟*

*" إنت مش وحيــد!"*

*الصوت يتكرر، الصداع يجتاحني بشدة! لوهلة نظرت إلى خنجري المعلَّق في الصالة، هرولت إليه وأخذته، من ثم ركضت لاهثًا نحو غرفة أبي، وقفت للحظة، أغمضت عيني مُفكرًا فيما بالداخل، ولكني تشجعت أكثر*

***وأكثر، ووضعت يدي على مقبض الباب، وفتحته.. فتحته ببطء شديد كي لا أرى ما بالداخل دُفعة واحدة..***

***لقد رأيت أبي، ولكن في تلك المرة كان واقفًا أمام الباب بالضبط، ومن الواضح أنه ينتظر دخولي، انتهى أنينه، وقد جحظت عيناي وتركت لجُفنيَّ العنان!، فابتسم أبي لي، وقد مسكني من كتفي بقوة بيديه الاثنتين، وألقاني نحو الحائط، ليضربني بشيء لم أرَه، لأشعر بأن الأرض تلتف أكثر وأكثر، ونظرت خلفي بصعوبة، فلم أجد له أثرًا..***

***ولتنفتح الستارة السوداء التي حجبت عني رؤية كُل شيء.. وأي شيء!***

** * **

***أيوة مين؟، سامح مين؟، الرقم غلط يا حاجة.. يا حاجة أنا إسمي وحيد مش سـ.. ، أمي؟، أمي إيه إحنا هنستعبط؟، أمي ميتة يا حاجة من وأنا صغير.."***

***وأغلقت الهاتف، ألقيت الهاتف على الأرض وركضت مهرولًا ناحية المرآة، وقفت أمامها لعدة لحظات، ما هذا، ما الذي حدث؟، يا الله كيف حدث هذا؟***

***لم يكن وجهي.. بل كان وجهه، وجه سامح!***

** * **

**بسبب غضبي الشديد، أمسكت بقطعة من الحديد الموجودة بداخل الحمَّام، وهشمت المرآة تمامًا.. كي لا أرى وجه ذلك اللعين!!، أنا لا أعرف شيئًا عن نفسي، المرض أخذ يأكل جسدي إربًا إربًا، وأنا أقف مكاني**

صامتًا هادئًا، ابتلعت ريقي بعد أن جُرحت يدي اليمنى، فتحت المياه، ووضعت يدي تحتها، ولكنى سرعان ما وجدت شيئًا لفت انتباهى..

لقد كان هُناك رسمة في كفي!

* * *

*لم تكن رسمة بالمعنى الحرفى للكلمة، ولكنها كانت خطوطًا أفقية ورأسية كُتِبت بداخلها حروف، الصف الأول كُتب فيه "س- أ- م – ح" والصف الثاني كُتب به "ح- أ-ت- م"، والصف الثالث كُتب به "و- ح-ي- د"، وفي النهاية هُناك خط رفيع، وتحته نقاط.. وعلامة استفهام!!*

*بدأت بالتفهم.. اسمي واسم حاتم وسامح مكتوبان بداخل ذلك الجدول.*

* * *

في تلك المرة لم تكن هناك علامات استفهام، بل كانت نقاط فارغة تمامًا، وكأنه يقل لك "أكمل"، وفعلًا.. وقبل أي شيء، ذهبت تجاه الصالة، فسمعت صوت طرق على الباب، ذهبت لأفتح.. فقد كانت سمر خطيبتى التي رأيتها مرتين فقط!

بابتسامة حُب تكلمت:

- ساااامح، وحشتني أوي..

وتغيرت ملامحها عندما رأت يدي:

- إيه اللي حصل لإيدك يا حبيبي؟

مافيش حاجة، إتفضلي..

دخلت وظهرت علامات الانبهار على وجهها، فاتجهت مبتسمة نحو النسخة وأخذتها، وضعتها بين أحضانها وتكلمت:

- أنا مش مصدقة، أخيرًا نزلت..

لم أعقب، فأكملت:

- أما أشوف النهاية اللي انت غيرتها بقى!

ماذا؟، تغيرت النهاية؟؟، معنى هذا أن هُناك شيئًا سيحدث لم يكن في الحسبان أبدًا!!، ابتلعت ريقي بخوف، وقُلت لها "إقري بصوت عالي"، وبدأت تقرأ النهاية.. قد كانت النهاية أن سامح هو الشخصية الحقيقية وأن حاتم ووحيد ليس لهما وجود، وأن حاتم ووحيد.. هُما سامح ذاته!!، ارتعبت من النهاية، فأكملت هى الأخرى بخوف شديد، ولكني أوقفتها وقُلت لها:

- هاتيلي قلم..

وحدث بالفعل، أخرجَتْ قلمًا من جيبها، فأمسكت به وبدأت بالكتابة على كفي، لقد كتبت في النقاط الفارغة "سامح"، أنا حاتم ووحيد، والدي توفى وفاة طبيعية، وأمي توفت أمامي، أنا لم أقتل أحدًا طوال عمري، لم أعرف أي فتاة غير خطيبتي هذه، الطبيبة التي حَكيت لها كُل شيء، كانت مجرد أحداث روائية كُنت أدوِّنها، فالرواية كانت الطبيبة.. أنا كُنت أتخيلها كأنها شخصية حية أمامي!.. كيف لم أسأل نفسي سؤالًا، هو أن كيف دفنت جُثة أبي وأنا في الدور الرابع من العمارة!! أنا من كُنت أرسم تلك الرسومات على كفي، لم يكن هُناك أحدٌ في قصر البارون، كُنت أذهب هُناك وحدي ولم يكن أى أحدٍ هناك!!، أنا من ضربت رأسي يوم تخيلت أن روح والدي قد حضرت كي تضربني! نحن

الثلاثة نشبه بعضنا جدًا، ولكن أنا الحقيقي بهم.. فجميعهم لا يوجد أي وجود لهم!!

فجأة توقفت سمر عن القراءة وقد جحظت عيناها:

- البطل هنا هيدبح خطيبته يا سامح!!، المشهد اللي انت كاتبه ده هو اللي بيحصل لنا دلوقت!!!!!!

تظاهرت بالضحك الشديد، وبدأت أهدئها وأقول لها: " إنتي مجنونة!، دي رواية يا هبلة، أنا مستحيل أعمل فيكي حاجة زي دي، إستنى هجبلك حاجة تشربيها". شعرت بأنها ارتاحت قليلًا.. ولكن الراحة ستأتي بعد قليل..

فأنا يجب أن أنفِّذ كُل حرف في تلك الرواية!

بخطوات متثاقلة اتجهت نحو الخنجر الخاص بي، أمسكته من المكان المعلَّق به، وأخرجته من غمده.. أخذت أنفاسي تعلو والتوتر يزداد، اقتربت منها بشدة، رفعت يدي اليُمنى، وضعت الخنجر على رقبتها.. وذبحتها!!

كانت تُركل الهواء كما تفعل البقرة عندما يذبحونها كأضحية، فرحتي الآن تُضاهي كُل شيء، لقد كانت دماؤها تتطاير وتلوث المكان بأكمله، كُنت مبتسمًا بشدة، شعرت بالانتصار الأبدي، وبضحكة جلجلت المكان، جلست على الأريكة التي جلست هي عليها فتتلوث ملابسي بدمائها القذرة، أمسكت النسخة التي غطتها الدماء، وقرأت ما يجب عليَّ تنفيذه، كانت تلك هي الصفحة الأخيرة، ولكن هُناك سطرين في نهاية الصفحة.. هُما النهاية بأكملها!!!

ضحكت بشدة، انفجرت ضاحكًا على غبائي الشديد، لقد تلاعبت بي الشخصيتان اللتين ليس لهما أي وجود، ولكنهما فجأة ظهرا لي من العدم، ظهرا ووقفا أمامي ببذلتين سوداوين، وبنفس اللحية التي أنا امتلكها، وبوجهين اختلفا عن وجهي.. قالا لي بابتسامة أمتلكها:

- تسلم دماغك يا سامح!

فابتسمت لهما، ابتسامة تسع الكون بأكمله، ابتسامة جعلتني أرتاح إلى الأبد..

لكن عليّ أن أنفذ ما كُتب بالرواية!!

أمسكت الخنجر الذي تلوث بالدماء، واقتربت من جُثة سمر.. وضعت الخنجر على رقبتي..

ولتنفجر الدماء..

بغتة.....!!!

تمت بحمد الله وفضله ونعمته

2014/11/22

عصير الكتب

## ملحوظة:

(بعد أن تنتهي من قراءة تلك الرواية، بالتأكيد ستنتابك بضعة أسئلة غريبة، وأنا أشعر أن هُناك من سيفهم نهاية الرواية بطريقته الخاصة، بالتأكيد هُناك مغزى من نهاية الرواية تلك، ولكني لن أقوله أبدًا، نهاية صعبة الفهم قليلًا لمن لم يقرأ كُل فصل من الرواية باهتمام، نهاية الرواية هي مرض نفسي.. مرض نفسي عاش بداخل مريض نفسي، جعله مبتور التفكير والعقل، فلذلك أنا لم أضع "أي نهاية والسلام" ولكني فكرت مرارًا وتكرارًا بما يجب عليَّ وضعه في تلك السطور النهائية التي خططتها وها أنت تقرأها الآن..

أرجو أن تكون نِلت المتعة التي تستحقها، وأرجو أن لا تنتظر أي معلومة عن الطب النفسي ها هُنا في تلك الرواية.)

عصير الكتب

# التعريف بالكاتب

محمود يوسف خواجة، وُلد عام 2001 في محافظة البحيرة، كَتب أكثر من خمسة عشر قصة قصيرة وثلاث قصص طويلة، ورواية أخرى غير رواية (اختلال) وهي رواية (6)، نُشرت إلكترونيًا على جروب وموقع عصير الكُتب وحققت نجاحًا كبيرًا..

عصير الكتب

# شُكر خاص

**هبة محمود**: لن أنسى كلامكِ الرائع عن الرواية، ولن أنسى أبدًا مساعدتك لي في بعض الأحداث كي تسير الرواية في مسارها الصحيح.. أشكرك شُكرًا جزيلًا☺

**سارة ناصر**: لولاكِ ما عرفت اسمًا لتلك الرواية.. لولاكِ ما استطعت كتابة الرواية.. من الآخر ( شكرًا ليكي يا أطيف حد في الدنيا).

**عمر عباس**: في بداية كتابتي لأي رواية أعطي لك مشهدًا بها، وفي كُل مرة تعطينى نقدًا بنّاءً كي يفيد الرواية، شُكرًا جزيلًا يا صديقي.. بالعامي كده.. مُشكرين يامريّسة ☺

**جروب عصير الكُتب**: ذلك (الجروب) الذي أنشر عليه كُل رواية وقصة لي، بدايةً من رواية "هامان" إلى رواية "اختلال"، أنا لن أستطيع كتمان شُكري، ولن أستطع أبدًا نسيان تشجعيكم لي.

**أصدقائي** "على عمارة – عبدالرحمن الزرقا- إبراهيم الرياني": لا أعرف بما أشكركم، ولكن الذي أود فعليًا شكركم عليه، أني عرفت أناسًا مثلكم، فليجعلكم الله سببًا في دخولي الجنة ☺

**شبابيك:** مجموعة من الناس، قرروا أن يجعلوا القراءة حياتهم، فقررت أن أكون معهم.. وقررت شُكرهم على كُل شيء فعلوه دفعني للقراءة، دونكم ما قرأت إلا نوعية واحدة من الأدب، فشكرًا على كُل شيء ☺
وفي النهاية أود شُكر كُل شخص قرأ العمل دون سابق معرفة، أنتظر جميع الآراء سواء بالإيجاب والسلب على صفحة الرواية على الجود ريدز والفيس بوك، وأتمنى أن تكون نالت الرواية إعجاب كُل من قرأها.. أراكم في رواية أخرى:)

عصير الكتب

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

0225622743 /01221064663